أجاثا كريستي

مغامرة في بالما

دار النجمة للنشر والتوزيع

مغامرة في بالْما

وقصص أخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

مغامرة في بالْما

وقصص أخرى

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

مغامرة في بالما

ما كاد السيد باركر باين يهبط من الباخرة السياحية في ميناء بالما بجزيرة مايوركا الإسبانية في الساعات المبكرة من الصباح حتى صادفته خيبة أمل شديدة؛ فقد كانت الفنادق مليئة، وأحسن غرفة وجدها كانت شبه خزانة تطل على فناء بوسط البلدة، وهو ما لم يكن السيد باركر باين على استعداد لقبوله، ولكن صاحب الفندق لم يعبأ باستيائه وخيبة أمله وقال وهو يهز كتفيه: ماذا تريد أن نفعل؟

كانت بالما مهوى السيّاح الإنكليز والأمريكيين في هذا الفصل الشتوي، وكانت البلدة كلها مزدحمة، ولهذا كان من المشكوك فيه أن يوفَّق هذا السيد الإنكليزي إلى العثور على مكان مناسب للإقامة، اللهمّ إلا إذا واصل البحث في بلدة فورمنتون حيث كانت الأسعار خيالية أيضاً.

وتناول السيد باركر باين القهوة وبعض الشطائر، وخرج لمشاهدة الكاتدرائية، ولكنه لم يجد قابلية للاستمتاع بروائع الفن المعماري. وكانت الخطوة التالية هي التشاور مع سائق سيارة أجرة طيب القلب، وانتهت المشاورة بنقل حقائب السيد باركر باين إلى السيارة والاتفاق على رحلة حول الجزيرة في محاولة للعثور على فنادق أرخص سعراً أثناء الطريق، على أن تكون الوجهة النهائية هي بلدة فورمنتور.

بيد أنه قُدِّر لهما ألا يصلا إلى هذه الوجهة، فإنهما ما كادا يتجاوزان الشوارع الضيقة في بلدة بولينا ويبتعدان قليلاً في اتجاه الشاطئ الدائري حتى وصلا إلى فندق بينودور، وهو فندق صغير قائم على حافة الشاطئ يطل على مشهد طبيعي حالم في هذا الصباح البديع. وفي الحال عرف السيد باركر باين أن هذا المكان وحده هو ما يبحث عنه، فاستوقف سيارة الأجرة واجتاز البوابة الملونة مؤملاً أن يجد مكاناً يستقرّ فيه أخيراً.

ولم يكن صاحبا الفندق يعرفان الإنكليزية ولا الفرنسية، ولكن الاتفاق تم بصورة مرضية، فقد خُصِّصت للسيد باركر باين غرفة مطلة على البحر، وأُنزلت الحقائب ودُفعت للسّائق أجرته، فانصرف شاكراً وهو يحيي بالإسبانية تحيّة مرحة.

ونظر باركر باين إلى ساعته، وحين وجدها لم تتجاوز العاشرة خرج إلى الشّرفة الصغيرة الغارقة في أشعة الشمس الساطعة، وطلب القهوة للمرة الثانية ذلك الصباح.

كانت هناك أربع موائد: مائدته، ومائدة ثانية كانت تُنقل منها بقايا طعام الإفطار، ومائدتان مشغولتان. وحول المائدة المجاورة له مباشرة جلست أسرة مؤلّفة من أب وأم وابنتين كبيرتين في السن دلّ حديثهم على أنهم ألمان، ومن وراء هذه الأسرة عند ركن الشرفة جلست أم وابنها، وكان من الواضح أنهما من الإنكليز.

كانت المرأة تناهز الخامسة الخمسين ذات شعر وخطه الشيب، وملابسها أنيقة محتشمة، وكانت هيئتها العامّة توحي بأنها من معتادات التنقّل والأسفار. وكان الشاب الجالس أمامها في نحو الخامسة والعشرين، من طراز الشباب الإنكليزي في مثل هذا السن، وكان واضحاً أنه على تمام الانسجام مع أمه إذ كانا يتبادلان النكت والضحكات، وكان الشاب يتحفها طول الوقت بما أمامها على المائدة.

وفي خلال حديثهما لاحت من الأم نظرة عابرة إلى ناحية باركر باين، فأدرك أنها قدّرت هويته الإنكليزية ولا شك وأنه لن يمضي وقت طويل حتى تبادره بإحدى عبارات المجاملة التقليدية. ولم يكن باركر باين يمانع في هذا؛ نعم، إن مواطنيه الإنكليز في الخارج كانوا يثيرون فيه الملل، ولكنه كان أميل في عزلته هذه إلى تبادل الحديث قتلاً للوقت.

ولم يلبث الشاب الإنكليزي أن نهض من مكانه وأبدى لأمه ملاحظة ضاحكة ثم دلف إلى داخل الفندق، فحملت الأم رسائلها وحقيبتها واستقرّت في مقعد مواجه للبحر متجهة بظهرها ناحية باركر باين. وفتحت نسخة من إحدى الجرائد الإنكليزية. لكن عين باركر باين الخبيرة المدربة دلّته من حركاتها على أنها لم تُدِر ظهرها إلا لكي تخفي دموعاً ترقرقت في عينيها وكانت تجاهد لكتمانها وإخفاء آثارها.

وشرب باركر باين الجرعات الأخيرة من قهوته ثم

انسحب متراجعاً إلى داخل الفندق، وبعد أقل من نصف ساعة طُلب منه التوقيع باسمه في سجل نزلاء الفندق، وكانت عيناه قد لمحتا في الخانة التي تعلو اسمه اسمَي السيدة د. تشستر والسيد بازيل تشستر من هولم بارك، مقاطعة ديفون.

حينها تناول القلم وكتب بسرعة فوق توقيعه اسماً يُقرأ بصعوبة هو كريستوفر باين. ومعنى هذا أن السيدة تشستر لو كانت تعاني من مشكلة تحزنها في بلدة بولينسا هذه فإن تغيير اسمه على هذه الصورة لن يمكّنها من الالتجاء إلى السيد باركر باين صاحب الاسم المعروف لاستشارته في مشكلتها.

والواقع أن باركر باين قد اعتاد أن يصادف في الخارج العديد ممن يعرفون اسمه وإعلاناته المنشورة في الصحف الإنكليزية، ولم يكن في هذا ما يثير العجب لأن هؤلاء يطالعون الصحف بإمعان ولا يفوتهم حتى قراءة الإعلانات. ولهذا السبب فإن إجازته كانت تُقطع عليه في مناسبات عديدة، كثيراً ما عالج خلالها مشكلات شتى كانت تتراوح بين جرائم القتل ومحاولات التهديد وابتزاز الأموال. أما هنا في هذه الجزيرة فقد كان مصمماً على أن ينال راحته كاملة، وقد شعر الآن -بغريزته- أن الأم المكروبة يمكن أن تفسد عليه هذه الراحة وتسلبه كل هدوء.

وهكذا استقرّ باركر باين في فندق «بينو دورو» وهو

قرير العين خالي البال. كان هناك فندق أكبر على مسافة قصيرة ينزل فيه كثير من الإنكليز، وفي نفس المنطقة كان ثمة مستعمرة للفنانين تمتد بعدها قرية للصيادين فيها بار يتلاقى فيه الناس، بالإضافة إلى بضعة متاجر. وهكذا كانت المنطقة كلها تهيئ أسباب الراحة والاستجمام.

* * *

في اليوم التالي لوصول باركر باين كانت السيدة تشستر تبادله الحديث عن مشاهد الطبيعة وعن حالة الطقس، وكان ابنها بازيل يستمع إلى حديثه بكامل الأدب والاحترام، وأحياناً كان الثلاثة يتناولون القهوة معاً بعد الفراغ من تناول طعام العشاء.

وفي اليوم الثالث ما لبث بازيل أن استأذن بعد عشر دقائق من بدء الجلسة فبقي باركر منفرداً مع السيدة تشستر. ولم يفته أن يلاحظ تلك الرعشة اليسيرة التي بدت على شفتي الأم عقب انصراف ولدها، ولكنها تمالكت نفسها بسرعة وأخذت تحدثه عن بازيل وعن تقدمه في دراسته الجامعية وعن محبة الناس له، قائلة إن والده لو ظل على قيد الحياة لكان فخوراً به، واختتمت حديثها قائلة: أحمد الله أن بازيل لم يشب ابناً مشاكساً، وبالطبع فإنني أحثه دائماً على مرافقة الشباب من سنه، ولكنه يفضل أن يكون في صحبتي.

فقال باركر باين معقّباً: يوجد الكثير من الشباب هنا. لا

أعني في الفندق؛ ولكن في دائرة الجزيرة.

وعند هذه العبارة لاحظ أن السيدة تشستر قد تصلبت عضلاتها، وقالت إن هناك فعلاً كثيراً من الشباب الفنانين، ولكنهم يتخذون من الفن ذريعة للتسكّع هنا وهناك دون أن يفعلوا شيئاً، كما أن الفتيات يسرفن في تناول الشراب.

وفي اليوم التالي قال بازيل للسيد باركر باين: أنا سعيد بوجودك بيننا يا سيدي، خصوصاً من أجل والدتي. إنها تحب أحاديثك معها في فترة المساء.

- كيف كنتم تقضون وقتكم عندما جئتم إلى هنا؟

- في الحقيقة كنا نلعب الورق.

- نعم، مفهوم.

- وبالطبع فإن الإنسان لا يلبث أن يملّ لعب الورق، والحقيقة أنني صاحبت بعض الأصدقاء هنا، وهم جماعة مرحة إلى أبعد حد ولا أظن أن أمي تقبلهم.

وضحك كمن يرى في هذا فكاهة، ثم أردف: إن أمي من العقلية القديمة، حتى البنات لابسات البنطلون يصدمنها.

فقال السيد باركر باين: هو هذا تماماً.

- إنني أقول لها دائماً إن الإنسان لا بد له أن يساير الزمن. إن البنات مملات جداً في بلادنا.

فقال السيد باين مرة أخرى: مفهوم.

كل هذا كان يثير في نفسه عنصر الطرافة. كان يتفرج على دراما مصغرة، ولكن لم يُطلب منه حتى الآن أن يشارك فيها بأي دور.

ولكن لم يمض وقت طويل حتى وقع أسوأ شيء في نظر باركر باين؛ فإن سيدة ثرثارة من معارفه جاءت للإقامة في فندق ماريبوزا المجاور، وقد تلاقيا في مقهى الفندق بحضور السيدة تشستر فهتفت السيدة: يا للعجب! السيد باركر باين بعينه، وأديل تشستر ذاتها؟ هل تعارفتما؟ وتقيمان في فندق واحد؟ هو الساحر الوحيد الأصلي يا أديل، هو أعجوبة القرن! كل متاعبك تتبخر... ماذا؟ ألم تعرفي هذا؟ لا بد أنك سمعت عنه، ألم تقرئي الإعلانات التي ينشرها في الجرائد: «هل لك مشكلة عويصة؟ استشر السيد باركر باين». وليس هناك شيء لا يمكن أن يفعله: أزواج وزوجات على وشك أن يقتلوا بعضهم البعض وبفضله يتم التّصافي، إذا يئست من الحياة فإنه يعيد اهتمامك بأشدّ المغامرات إثارة، إنه كما قلت ساحر وكفى.

ومضت السيدة تتدفق بهذا الكلام والسيد باركر باين يعترض بين الفترة وأخرى متواضِعاً. لقد كره تلك النظرات التي رأى السيدة تشستر توجهها إليه بتأثير هذا الكلام، بل كره أكثر من هذا رؤيتها عائدة من طريق الشاطئ وهي تتشاور بالحديث وهز الرأس مع السيدة الثرثارة التي أغدقت عليه

هذا المديح.

وقد حدثت المأساة بأسرع مما كان يتوقع؛ ففي ذلك المساء وبعد شرب القهوة قالت له السيدة تشستر فجأة: أرجوك أن تأتي معي إلى الصالون يا سيد باين، هناك شيء أريد أن أقوله لك.

ولم يكن بوسعه إلا أن يمتثل. والواقع أن الهدوء الذي كانت تتسم به السيدة تشستر ما لبث أن تلاشى، وما إن أُغلق باب الصالون عليهما حتى تحطمت فجأة وجلست تجهش بالبكاء.

راحت تقول: ولدي يا سيد باركر باين، لا بد أن تنقذه! إن حكايته تحطم القلب.

- إنني يا سيدتي كإنسان غريب...

- قالت بينا ويكرلي إنك تستطيع أن تفعل أي شيء؛ قالت إنه يمكنني أن أضع فيك كامل ثقتي. لقد نصحتني بأن أخبرك بكل شيء وأكّدت أنك سوف تسوّي المسألة كلها تماماً.

راح السيد باركر باين يلعن في سرّه السيدة ويكرلي الفضولية الثرثارة، ولكنه لم يتمالك إلا أن قال مستسلماً: لا بأس، لنطرح المشكلة من أساسها. أظن أنها بخصوص الفتاة؟

- هل أخبرك عنها؟

- بطريقة غير مباشرة.

راحت الكلمات تتدفق بحرارة وانفعال من السيدة تشستر: هذه الفتاة الشنيعة؛ إنها تسكر وتسبّ وملابسها لا تكاد تسترها، لها أخت كانت تقيم هنا وكانت متزوجة من فنان هولندي. الشلّة كلها شنيعة: نصفهم يعيشون مختلطين دون أن يجمعهم زواج! لقد تغيّر بازيل تماماً، لقد كان دائماً مثال الهدوء والاهتمام بالمسائل الجادة، حتى لقد فكر في وقت من الأوقات في أن يكون من دارسي الحفريات والآثار.

فقال السيد باركر باين: حسناً، إن الطبيعة سوف تنال انتقامها.

- ماذا تقصد؟

- ليس من المأمون بالنسبة لشاب أن يتفرغ للمسائل الجادة وحدها، بل لا مفرّ له من أن يركب رأسه من أجل فتاة بعد فترة.

- أرجوك أن تبقى جادّاً يا سيد باركر بارين.

- إنني جاد كل الجِدّ. هل الفتاة التي تقصدينها هي التي كانت تشرب معكم الشاي أمس؟

كان قد لاحظها. كانت تلبس البنطلون الرياضي وحول رقبتها منديل قرمزي تدلت عقدته على صدرها.

- هل رأيتها؟ شنيعة! ليست من نوع الفتاة التي كان يمكن أن يُعجب بازيل بمثلها.

- لكنك لم تمنحيه أقل فرصة لكي يعجب بأي فتاة، أليس كذلك؟

- أنا؟

- لقد تعلق بصحبتك أكثر من اللازم. شيء رديء! ومع ذلك أعتقد أنه سوف يخرج من هذه الورطة إذا لم تتعجلي الأمور.

- أنت لا تفهم، إنه يريد أن يتزوج هذه الفتاة، بيتي جريج، إنهما مخطوبان.

- هل تطور الأمر إلى هذا الحد؟

- نعم، لا بد أن تفعل شيئاً يا سيد باركر باين، لا بد أن تنقذ ابني من هذا الزواج المدمر. إن حياته كلها توشك أن تنتهي بكارثة.

- لا يمكن أن تنتهي حياة أي إنسان بكارثة إلا من صنع يديه.

فقالت السيدة تشستر بيقين: هذا ما سينتهي إليه بازيل.

- أنا لا أشعر بأي قلق على بازيل.

- أنت لا تقلق على بازيل؟

- لا، أنا قلق عليك؛ فإنك تبددين أمومتك هباء.

راحت السيدة تشستر تتطلع إليه مأخوذة، فقال لها: ما هي طبيعة السنوات بين العشرين والأربعين؟ هي الفترة التي تتحكم فيها العلاقات العاطفية. هذا أمر لا بد منه، هذه هي طبيعة الحياة. ولكن فيما بعدها هناك مرحلة جديدة، يبدأ الإنسان يفكّر ويدرس الحياة ويكتشف الأشياء عن غيره من الناس ويكتشف حقيقة نفسه، وعندئذٍ تصبح هي الحياة الحقيقية وذات القيمة، يراها الإنسان ككلّ لا مجرد مشهد واحد هو المشهد الذي كان يقوم به كما يفعل الممثل. إن الرجل أو المرأة لا يكون هو نفسه، أو هي نفسها، إلا بعد الخامسة والأربعين؛ هذه هي المرحلة التي تنضج عندها الشخصية.

فقالت السيدة تشستر: إن بازيل كان دائماً الظل الذي أستظل به، لقد كان دائماً كل شيء في حياتي.

- لا بأس. ما كان يجب أن يكون هذا، فإنك الآن تدفعين الثمن. أحبيه كما تشائين وقدر ما تستطيعين، لكن تذكّري أنك أديل تشستر، شخص مستقل، لا مجرد أم بازيل.

فقالت الأم: سوف يتحطم قلبي إذا دُمّرت حياة بازيل.

راح يتفرس في ملامحها الدقيقة التي شاع فيها الحزن

فأخذته الشفقة عليها، وقال لها: سوف أرى ما يمكن أن أفعله.

* * *

لم يجد بازيل أيّ صعوبة في فتح قلبه لباركر باين؛ فقد قال له الشاب يشرح وجهة نظره: إن هذه المسألة تتطور إلى جحيم، إن أمي لا تطاق. إنها مُغرضة ضيّقة العقل، ولو تحكمت في مشاعرها قليلاً لوجدت أن بيتي فتاة ممتازة.

- وبيتي من ناحيتها؟

فتنهد الشاب قائلاً: هي من ناحيتها صعبة عنيدة، أعني لو تخلت يوماً واحداً عن أحمر الشفاه الصارخ لاختلف الموقف كثيراً. إنها تبالغ في التطرف لكي تبدو فتاة حديثة متى ما كانت أمي موجودة.

فابتسم باركِر باين، بينما أضاف الشاب قائلاً: إن بيتي وأمي اثنتان من أَحَبّ وأظرف الناس، وكنت أتمنى لو أنهما تآلفتا وانسجمتا من أوّل لحظة.

فقال باركر باين: أمامك أن تتعلم الكثير يا بني.

فقال بازيل: بودي أن تأتي معي وترى بيتي وتتحدث معها في الموضوع.

فقبل باركر باين الدّعوة على الفور.

* * *

كانت بيتي وأختها وزوج أختها يقيمون في فيلا قديمة تبعد مسافة عن البحر. كانت حياتهم صورة للبساطة، وكان الأثاث لا يتجاوز ثلاثة مقاعد وطاولة وأسرة صغيرة، بالإضافة إلى خزانة في الحائط فيها الضروري من الأطباق والأكواب. وكان هانز الزوج شاباً انفعالياً أشقر الشعر منفوشه، وكان يتكلم إنكليزية غريبة بأقصى سرعة وهو يروح ويجيء كلما فعل ذلك. وكانت زوجته ستيللا شقراء نحيلة الجسم، أما أختها بيتي فكانت حمراء الشعر منقّطة الوجه ماكرة النظرات. ولما أبصرها حينها كانت بعيدة عن الزينة التي ظهرت بها بالأمس في الفندق.

قالت له بيتي بغمزة عين وهي تناوله كأساً من العصير: هل دخلت في المعمعة؟

فأومأ السيد باركر باين إيجاباً، فقالت: وفي أي صفٍّ تقف؟ صف العشاق أم صف السيدة المشمئزة؟

- هل يمكن أن أسألك سؤالاً؟

- بالتأكيد.

- هل كنت تتصرفين بحكمة في هذه المشكلة؟

فأجابت بيتي بصراحة: أبداً، لكن القطة العجوز غاظتني.

قالت هذا وهي تدير نظرها لكي تتأكد من أن بازيل لا

يسمعها، ثم استطردت تقول: إن تلك المرأة تثير جنوني؛ لقد ربطت بازيل بحبالها طول هذه السنين، ومثل هذا العمل يحوّل أي إنسان إلى أحمق يشار إليه بالبنان، لكن بازيل ليس بالأحمق في الواقع، ثم إنها متمسكة بالتقاليد بصورة شنيعة.

- إن هذا ليس عيباً في حد ذاته، كل ما هنالك أنه لا يتفق مع التطور هذه الأيام.

فراحت بيتي تتأمل قليلاً ثم قالت فجأة وقد لمعت عيناها: ربما كنت على حق، سأكون صريحة معك. الحقيقة أن بازيل هو الذي أثار غيظي بتلهفه على نوع الانطباع الذي سأتركه في نفس أمه. إن هذا جعلني أتطرف في كل تصرفاتي، وحتى الآن أعتقد أنه قد ينفض يديه مني إذا واصلت أمه مساعيها معه.

فقال السيد باركر باين: قد يفعل إذا هي سلكت الطريق الصحيح.

- وهل ستدلها على الطريق الصحيح؟ لا يمكن أن تفعل هذا وحدها كما تعرف. كل ما يمكنها فعله هو أن تستمر في الاشمئزاز والممانعة، ولن يفيدها ذلك بشيء. لكن إذا أنت أرشدتها ورسمت لها الخطة...

عضت على شفتيها ورفعت إليه عينين زرقاوين تفيضان صراحة، ثم أضافت تقول: لقد سمعت عنك يا سيد باركر

باين، مؤكد أنك تعرف حقيقة الطباع البشرية. هل تظن أنني وبازيل يمكن أن ننجح في حياتنا؟

- أحبّ أولاً أن تجيبي على ثلاثة أسئلة.

- أهو اختبار الصلاحية؟ لا بأس، هات أسئلتك.

- هل تنامين ونافذتك مفتوحة أو مغلقة؟

- مفتوحة؛ إنني أحب الهواء النقي.

- هل تستمتعين أنت وبازيل بنفس الطعام؟

- نعم.

- هل تذهبين إلى النوم ليلاً في وقت مبكر أم متأخر؟

- الحقيقة في وقت مبكر، في الساعة العاشرة والنصف أتثاءب من النعاس، وفي الصباح أشعر بشهية شديدة للأكل. ولكني لا أقول هذا بصراحة بالطبع.

فقال السيد باركر باين: أنتما متلائمان تماماً.

- هذا اختبار بسيط جداً.

- أبداً؛ إنني أعرف أكثر من سبع زيجات تحطمت تماماً لأن الزوج كان يحب السهر حتى نصف الليل والزوجة تستغرق في النوم في التاسعة والنصف، وبالعكس.

فقالت بيتي: من المحزن أن الناس لا يجدون للسعادة!

هل معنى هذا أن أم بازيل تبارك زواجنا؟

فسعل باركر وقال: أظن أن هذا شيء يمكن تدبيره.

فنظرت إليه بارتياب وقالت: ترى هل تخدعني؟

ولكن ملامحه لم تنطق بلا ولا بنعم.

* * *

عندما رجع باركر باين إلى السيدة تشستر كان رقيقاً ملاطفاً، ولكن أسلوبه كان مبهماً غامضاً. قال لها إن الخطوبة ليس معناها الزواج حتماً، وقال إنه ذاهب إلى بلدة سوللر في الجزيرة حيث يغيب أسبوعاً، وأشار عليها أن يكون مسلكها بين وبين ولا بأس أن تظهر بمظهر الموافقة.

وفي بلدة سوللر أمضى أسبوعاً استمتع فيه بالراحة والاستجمام إلى أبعد الحدود، وعند عودته وجد الموقف قد انقلب رأساً على عقب؛ فما كاد يدخل فندق «بينو دورو» حتى رأى السيدة تشستر وبيتي جريج تشربان الشاي سويّاً، ولم يكن بازيل معهما.

وكانت السيدة تشستر ممتقعة الوجه، وبدت بيتي كذلك في غير حالتها المألوفة؛ لم تكن تضع شيئاً من الزينة وبدا من مظهر أجفانها أنها قد أكثرت من البكاء. ومهما يكن فقد حيته كلتاهما بمودة، ولكن لم تذكر إحداهما اسم بازيل.

وفجأة سمع بيتي بجانبه تشهق بحدة كأنما صدمها شيء، فأدار باركر باين رأسه فرأى بازيل يصعد السلم من ناحية البحر، وكانت برفقته فتاة رائعة الجمال حتى ليبهر حسنها الأبصار. كانت سوداء الشعر وترتدي ثوباً من الكريب الأزرق الفاتح زاد من جمالها، وكانت المساحيق المعطرة واللون الذي صبغ شفتيها يضاعف من أنوثتها، وبدا بازيل مفتوناً بها إلى حدّ أن نظراته كانت لا تكاد تفارق وجهها.

قالت له أمه: لقد تأخرت كثيراً يا بازيل. كان من المفروض أن تذهب مع بيتي إلى محل ماك.

فردت الحسناء بلهجة ناعمة متثنية قائلة: غلطتي أننا تركنا أنفسنا مع الأمواج.

ثم التفتت إلى بازيل قائلة: ملاكي! ولم تهتم الفتاة بالمرأتين ولكنها مالت قليلاً إلى ناحية باركر باين وقالت: شنيعة هذه الجزيرة. لقد كنت على وشك الموت من شدّة الملل إلى أن قابلت بازيل، كم هو لطيف!

فقالت السيدة تشستر تقدم كلاً منهما إلى الآخر: السيد باركر باين، الآنسة رامونا.

فتقبلت الفتاة هذا التعارف بابتسامة كسولة ناعسة وغمغمت قائلة: أظن أنني سأناديك باركر فقط. اسمي دولوريس.

وعاد بازيل بالعصير، ووزعت رامونا حديثها (وإن كان أكثره نظرات) بين بازيل وباركر باين، أما عن المرأتين فلم تهتم بهما. وقد حاولت بيتي مرة أو مرتين أن تشترك في الحديث ولكن الفتاة الحسناء لم تفعل أكثر من التحديق إليها والتثاؤب.

وفجأة نهضت دولوريس قائلة: أظن أنني سأذهب الآن. أنا أُقيم في الفندق الآخر، هل يأتي أحد لتوصيلي؟

فوثب بازيل قائماً وقال: سأذهب معك.

فقالت السيدة تشستر: بازيل، عزيزي!

- سوف أعود بعد قليل يا أمي.

فقالت الآنسة رامونا موجهة حديثها للدّنيا كلها: أليس هو ابن أمه؟ هو في ذيلها باستمرار، أليس كذلك يا بني؟

فاحمرّ وجه بازيل وبدا عليه الارتباك، ولم تلبث الآنسة رامونا أن أومأت برأسها للسيدة تشستر وأتحفت باركر بابتسامة ساحرة، ثم ابتعدت برفقة بازيل.

خيم صمت ثقيل محرج بعد انصرافهما، ولم يرد باركر باين أن يكون البادئ بالكلام. كانت بيتي جريج تلوي أصابعها وتنظر في اتجاه البحر، وبدت السيدة تشستر غاضبة. وأخيراً قالت بيتي بصوت لا ينمّ عن تمام الثبات: حسناً، ما رأيك في هذه الفتاة؟

فأجاب باركر باين بحذر: إنها غريبة إلى حد ما.

فأطلقت بيتي ضحكة قصيرة مرّة قائلة: غريبة؟!

وقالت السيدة تشستر: إنها شنيعة، شنيعة. لا بد أن بازيل قد أصابه الجنون.

وفجأة نهضت بيتي قائلة: أظنّ أنني سأعود إلى البيت يا سيدة تشستر.

- آه يا عزيزتي! إن بازيل سوف يشعر بخيبة أمل شديدة.

فقالت بيتي بضحكة قصيرة: هل سيفعل ذلك؟ على كل حال أنا ذاهبة، إنني أشعر ببعض الصّداع.

وابتسمت لهما وابتعدت، فالتفتت السيدة تشستر إلى باركر باين قائلة: ليتنا لم نأتِ إلى هذا المكان أبداً.

فهز باركر رأسه، بينما قالت السيدة تشستر مرة أخرى: ما كان يجب أن تذهب بعيداً عنا، لو بقيت هنا لما حدث هذا.

فاضطر باركر باين لأن يقول: يا سيدتي العزيزة، أؤكد لك أنه متى كان الأمر متعلقاً بفتاة جميلة فلا يمكن أن يكون لي تأثير على ولدك. الظاهر أن له طبيعة قابلة للتأثر بسرعة.

فقالت السيدة تشستر دامعة العينين: لكنه لم يكن هكذا أبداً.

قال باركر باين محاولاً إبداء المرح: لا بأس، يبدو أن هذا الافتتان الجديد قد قصم ظهر افتتانه بالآنسة جريج. لا بدّ أن يكون في هذا ترضية لك.

فقالت السيدة تشستر: لا أعرف ماذا تقصد. إن بيتي لطيفة ومحبّة لبازيل إلى حدّ التفاني وهي تتصرف بصورة حكيمة جداً في هذا الموقف، وأظن أن ابني لا بد أن يكون مجنوناً.

تلقى السيد باركر باين هذا التغيير المروع دون جزع، فقد صادف من قبل مثل هذا التقلب في أحوال النساء، وقال: ليس مجنوناً بالضبط، بل مجرد شخص مسحور.

- إن هذه المخلوقة شيطانة، إنها لا تقاوَم.

- ولكنها فاتنة إلى أقصى درجة.

لم تزد السيدة تشستر عن إبداء همهمة تنمّ عن الاستنكار. ولم يلبث بازيل أن عاد صاعداً الدرج من ناحية البحر مسرعاً وقال: مرحباً يا ماما، ها أنا قد رجعت. أين بيتي؟

- لقد عادت بيتي إلى البيت مصابة بصداع. إنني لا أستغرب.

- تقصدين أنها استاءت؟

- أظن أنك كنت في غاية القسوة مع بيتي يا بازيل.

- بالله لا تتشدقي بهذا الكلام يا أمي! إذا كانت بيتي سوف تُبدي مثل هذه الضجة في كل مرة أتكلم فيها مع فتاة أخرى فإن حياتنا معاً سوف تكون حياة غريبة.

- أنتما خطيبان.

- نحن خطيبان فعلاً، لكن ليس معنى هذا ألا يكون لنا أصدقاء. الناس في أيامنا يعيشون حياتهم الخاصة وينسون الغيرة.

وتوقف برهة ثم أردف قائلاً: اسمعي، إذا كانت بيتي لن تتعشى معنا فأظن أنني سأعود إلى فندق ماريبوزا، لقد طلبوا مني أن أتعشى معهم.

- آه يا بازيل!

لكن الشاب صوب إليها نظرة ساخطة ثم أسرع يهبط درجات السلم عائداً من حيث جاء.

فنظرت السيدة تشستر إلى باركر بنظرات تغني عن الكلام قائلة: هل رأيت؟

* * *

وصل الموقف إلى ذروته بعد يومين. فقد كان من المتفق عليه أن يقوم بازيل وبيتي برحلة خلوية يأخذان فيها طعام الغداء، وعندما وصلت بيتي إلى فندق «بينو دورو» وجدت أن بازيل قد نسي الموعد تماماً وذهب إلى بلدة

فورمنتور لتمضية النهار مع شلة دولوريس رامونا.

لم تفعل بيتي أكثر من أن عضت على شفتيها ولم تقل شيئاً، على أنها لم تلبث أن وقفت وواجهت السيدة تشستر -وكانتا وحدهما في الشرفة- وقالت: لا بأس، هذا لا يهم، لكن أظن مع ذلك أن الأفضل أن ننهي المسألة كلها.

ونزعت من إصبعها الخاتم الثمين الذي كان بازيل قد أعطاه لها قائلة: هلا أعطيته هذا الخاتم يا سيدة تشستر؟ وقولي له ألا يشغل باله من ناحيتي.

- بيتي، عزيزتي! لا تفعلي هذا، إنه يحبّك حقيقة.

فقالت الفتاة بضحكة قصيرة: هذا واضح تماماً! أليس كذلك؟ لا، إن لي كرامتي. قولي له إن كل شيء بخير وإنني أرجو له التوفيق.

وعندما عاد بازيل آخر النهار قوبل بعاصفة، وقد احمر وجهه عندما رأى الخاتم وقال: إذن فهذا هو شعورها الحقيقي! لا بأس، أظن أن الخير فيما فعلت.

- بازيل!

- أصارحك يا أمي أننا لم نكن على انسجام في المدة الأخيرة.

- وذنب من هذا؟

- لا أظن أن الذنب ذنبي. الغيرة هي السبب، ولا

أدري لماذا تنفعلين كل هذا الانفعال بسبب هذه المسألة؟ أنت نفسك رجوتني ألا أتزوج بيتي.

- كان هذا قبل أن أعرفها. بازيل يا حبيبي، أظنك لا تفكر في الزواج بتلك المخلوقة الأخرى؟

فقال بازيل برصانة: سأتزوجها في الحال لو كانت تقبلني، لكن ما أخشاه أنها لن تقبل.

شعرت السيدة تشستر بقشعريرة باردة تسري في كيانها كله. وقد راحت تبحث عن باركر باين حتى وجدته في ركن هادئ يقرأ كتاباً، فقالت له: لا بد أن تفعل شيئاً، لا بد أن تفعل شيئاً! إن حياة ابني سوف تتهدّم.

والظاهر أن باركر باين قد بدأ يتضايق من بازيل ومن خصوصياته، فقد قال لها: وماذا يمكنني أن أفعل؟

- اذهب وقابل تلك المخلوقة الشنيعة، لك أن تشتريها إذا لزم الأمر.

- هذا قد يكلف ثمناً غالياً.

- لا يهمّني.

- هذا مؤسف، ومع ذلك فقد تكون هناك طرق أخرى.

فتطلعت إليه متسائلة، فهز رأسه قائلاً: لن أعد بشيء، لكنني سأرى ما يمكن عمله. لقد مارست مثل هذه العملية

من قبل... على فكرة، لا تقولي كلمة واحدة لبازيل وإلا كانت العاقبة وخيمة.

- بالطبع لن أقول أي شيء.

عاد باركر باين من فندق ماريبوزا في منتصف الليل فوجد السيدة تشستر ساهرة في انتظاره، وقالت له وهي تلهث: خيراً؟

فأجاب وقد لمعت عيناه: الآنسة دولوريس رامونا سوف تغادر بولينا غداً صباحاً وتخرج من الجزيرة كلها غداً ليلاً.

- آه يا سيد باركر باين! كيف صنعت هذه المعجزة؟

فقال باركر باين: ولن يكلفنا الأمر شيئاً.

ومرة أخرى لمعت عيناه، وأضاف قائلاً: كنت أظن أنني سأتمسك بشيء ضدها، وكان ظني في محله.

- أنت مدهش، ولقد كانت نينا ويكرلي على حقّ! لا بد أن تحدّد لي أتعابك.

فرفع باركر باين يده الأنيقة بحزم قائلاً: ولا بنساً واحداً. كان من السرور أن أفعل هذا وأرجو أن يسير كل شيء على ما يرام الآن. وطبعاً سوف يحزن ابنك جداً عندما يجد أنها قد اختفت ولم تترك أي عنوان، ولكن المطلوب منك أن تكوني لينة معه مدة أسبوع أو أسبوعين.

- يا ليت بيتي تسامحه!

- سوف تسامحه قطعاً، إنهما ثنائي لطيف. وبالمناسبة، سأغادر الجزيرة أنا أيضاً في الغد.

- آه يا سيد باركر باين، سنفتقدك كثيراً.

- ربما كان من الخير أن أترك الجزيرة قبل أن يتعلق ابنك الهمام بفتاة ثالثة.

* * *

وقف السيد باركر باين متكئاً على حاجز الباخرة يتطلع بنظره إلى أضواء بالما، وإلى جانبه وقفت دولوريس رامونا. ولم يلبث أن قال لها بلهجة التقدير: كانت هذه عملية محبوكة يا مادلين. يسرني أنني أبرقتُ إليك لكي تحضري إلى هنا، ومن حسن الحظ أنك تحبين الهدوء وملازمة البيت.

فقالت مادلين دي سارا، أو دولوريس رامونا سابقاً: وأنا مسرورة لأنني أرضيتك يا سيد باركر باين. لقد كانت هذه العملية نوعاً من التغيير بالنسبة لي، وأظن أنني سأنزل الآن إلى قمرتي وأنام قبل تتحرك الباخرة فأنا لست بحّارة ماهرة.

وبعد دقائق هبطت يد على كتف باركر باين، وعندما التفت رأى بازيل تشستر بجانبه. قال له الشاب: كان لا بد أن أحضر لكي أودعك يا سيد باركر باين وأعبّر لك عن

شكري أنا وبيتي. لقد كان هذا عملاً جريئاً من جانبك؛ إن بيتي وأمّي الآن على أتم انسجام ووفاق. كنت أعتقد أنه من المخجل أن أخدع الأم العزيزة لكنها كانت صعبة جداً. على أي حال كل شيء على أحسن ما يرام الآن، وكل ما هو مطلوب مني الآن هو أن أتظاهر بالاستياء والكدر يومين آخرين. أنا وبيتي ممتنّان لك كل الامتنان.

فقال باركر باين: أتمنى لكما كل السعادة.

- شكراً من أعماق القلب أيها الساحر العظيم.

وساد الصمت برهة، ثم ما لبث أن قال بلهجة لامبالاة مصطنعة: هل الآنسة... الآنسة دي سارا موجودة هنا؟ أودّ أن أشكرها أيضاً.

صوب إليه باركر باين نظرة حادة وقال: أظن أن الآنسة دي سارا قد ذهبت إلى النوم.

- آه، هذا من سوء الحظ. ربما أمكن أن أراها في لندن في يوم من الأيام.

- الحقيقة أنها مسافرة إلى أمريكا في مهمة كلفتها بها.

- آه، لا بأس. سأذهب الآن.

ابتسم باركر باين. وفي طريقه إلى قمرته نقر على باب قمرة مادلين وقال لها: كيف حالك يا عزيزتي؟ بخير الآن؟

صديقنا الشاب كان هنا، لقد أصابته النوبة القلبية المادلينية المعتادة. سوف يشفى منها بعد يوم أو يومين! أتمنى لك نوماً مريحاً بعد هذه المؤامرة الصغيرة الناجحة.

* * *

اللؤلؤة المفقودة

كان الإنهاك واضحاً على أعضاء الرحلة، مما كان يوحي بأنهم قد أمضوا يوماً مرهقاً في تلك الرحلة التي بدأت منذ أشرقت شمس عمّان حتى وصلوا إلى مدينة البتراء بعد غروب الشمس. كانوا سبعة فقط: السيد كليب بلاندل رجل الأعمال الأمريكي الغني البدين، وسكرتيره الوسيم جيم هيرست، والسير دونالد مارفل السياسي الإنكليزي عضو البرلمان، والدكتور كارفر عالِم الآثار الشهير، والكولونيل دي بوسك الأرستقراطي الفرنسي، والسيد الوقور غير معروف المهنة باركر باين، ثم الآنسة كارول بلاندل المدلَّلة المرفهة الفخورة بأنها الأنثى الوحيدة بين هؤلاء الرجال الستة.

تناولوا عشاءهم وتحدثوا كثيراً عن أحوال السياسة في الشرق الأدنى، ولكن السيد باين وعالِم الآثار وجيم هيرست فضّلوا أن يستمعوا دون أن يتحدثوا. ثم بدؤوا يتحدثون عن مدينة البتراء التي جاؤوا لزيارتها، فقالت كارول: هذه المدينة شبيهة بالحلم، وأهلها الذين عاشوا فيها قبل التاريخ...

فقاطعها السيد باين: ليس لهذه الدرجة، ألا ترى هذا يا سيد كارفر؟

- أنا أختلف معها في ألفَي سنة فقط! وقد كان سكانها يجبرون القوافل على المرور عبرها وذلك عن طريق جعل بقية الطرق غير مأمونة. كانت البتراء في ذلك الوقت معقلاً للابتزاز.

فقالت كارول: هل تعني أنهم كانوا مجرد لصوص؟

- لم تكن سرقاتهم عادية، بل كانوا لصوصاً على نطاق واسع.

فقال السيد باين بخبث: أتعني أنهم كرجال المال في العصر الحالي؟

فضحكت كارول قائلة: هيّا، أجِب يا أبي؛ هذا السؤال موجَّه إليك.

قال السيد بلاندل: العالَم يستفيد من رجال المال دائماً.

فقال السيد باين: والعالَم لا ينكر هذا الجميل يا سيد بلاندل.

قال الكولونيل دي بوسك الفرنسي: إن القِيَم في العالم تختلف من مكان إلى مكان باختلاف العادات والعقائد، فما يُعَدّ سرقة في مكان ما يُعتبر بطولة في مكان آخَر.

قال السير دونالد: لكن اللص لص أياً كان مكانه أو زمانه.

ثم صمتوا برهة اشتكَت بعدها كارول من لسعات البعوض، فقال السير دونالد همساً للسيد باين: من الواضح أن كلامي كان شديداً.

- أجل، هذا واضح.

وبالرغم من الحرج الذي كان يملأ الموقف إلاّ أن عالِم الآثار كان صامتاً غائباً عن كل ما كان يُقال، وفجأة قالَ: أتفق مع هذا الرأي بطريقة عكسية، أي أن المرء إما أن يكون شريفاً من الأصل أو غير شريف، ولا يمكن تحويل أحدهما إلى الآخَر.

فقال السيد باين: ألا يمكن أن يمر بتجربة ما تجعله يتغير؟

- هذا مستحيل تماماً.

- بل أظن أن هناك العديد من العوامل والمؤثرات التي يجب النظر إليها، فهناك نقطة ينهار معها كل شيء. ربما كان السبب في كون المرء مجرماً شيئاً تافهاً، ولهذا فمعظم الجرائم ليس لها معنى لأن سببها في الغالب هو ذلك الشيء التافه.

قال الفرنسي: هذا علم نفس يا عزيزي.

فقال السيد باين: أعتى المجرمين هم الذين يملكون علم النفس. هل تعلم أن هناك تسعة أشخاص من كل عشرة يمكن التأثير عليهم ليفعلوا ما تريده، بشرط إخضاعهم

للتأثير الصحيح والمناسب مع نفوسهم؟

هتفت كارول: فلتشرح لنا هذه النقطة يا سيد باين.

فقال السيد باين: هناك أفراد يمكنك التأثير فيهم بمجرد الصراخ في وجوههم، في حين يوجد من يعاديك إذا صرخت في وجهه، وهناك من يؤثَّر عليهم بالإيحاء، وهم الغالبية، فمنهم من إذا سمع صوت شيء ما يمكن الإيحاء إليه بأنه يرى ذلك الشيء، ومنهم من إذا علموا أن شخصاً ما تمّ طعنه بسكين أقسموا أنهم رأوا السكين في الجرح... وهكذا.

قالت بشك: ولكنني لا أظن أنه يمكن أن يوحى إليّ بمثل هذا.

فقال والدها: هذا لأنك شديدة الذكاء يا حبيبتي.

قال الفرنسي: أؤكد لكم أن هذا الكلام صحيح، والأساس من الفكرة أن الإيحاء يمكن أن يخدع الحواس.

ولكن كارول تثاءبت قائلة: الإرهاق يكاد يقتلني، سأذهب إلى فراشي. لقد قال عباس أفندي إننا سنبدأ في الصباح الباكر لكي نرى المكان الذي يقدَّم فيه الضحايا، إن كان لهذا معنى.

فقال السير دونالد: لقد كانت الفتيات الجميلات تقدَّمن كقرابين في ذلك المكان.

فقالت كارول: أرجو ألاّ يكون الأمر هكذا. تصبحون على خير.

ثم توقفت وهي تضع يدها على أذنَيها وتقول: آه، أين قرطي؟!

فالتقطه الكولونيل دي بوسك من فوق المائدة حيث كان قد سقط وأعاده إليها، في حين سأل السير دونالد وعيناه تنظران بجشع إلى اللؤلؤتين الكبيرتين في القرط: هل هاتان اللؤلؤتان حقيقيتان؟

فقالت: بالطبع هما كذلك.

قال والدها: لقد دفعت فيهما ثمانين ألف دولار، وبالرغم من هذا الثمن الباهظ تضعهما في قرطها بإهمال فتسقطان طوال الوقت. هل تريدين أن أفلس يا عزيزتي؟

فقالت له بدلال: لن تفلس يا أبي حتى لو اضطُررتَ إلى شراء قرط جديد لي.

قال بافتخار: بالطبع، يمكنني شراء ثلاثة لك دون أن يتأثر حسابي البنكي.

قال السير دونالد: يا لك من محظوظ!

ثم خرج السيد بلاندل ووراءه هيرست في حين قال دي بوسك باستخفاف: لديهم الكثير من المال هؤلاء الأمريكان!

قال السيد باين: تصعب نشأة المودة بين الغني والفقير.

فقال الفرنسي ضاحكاً: هذا بسبب الحسد والغيرة. الكل يريد أن يكون غنياً ليشتري الأقراط اللؤلؤية، ربما عدا هذا الرجل.

قالها مشيراً إلى السيد كارفر الذي كان كعادته ساهماً، وكان في تلك المرة ينظر إلى شيء ما في يده فقال وقد انتبه من شروده: آه، أجل، أنا بالفعل أكره اللآلئ الكبيرة. أنا أقدّر قيمة المال، ولكن هناك ما هو أقيَم عندي بمرّات.

فسأله السيد باين: ماذا تقصد يا سيد كارفر؟

فرفع ما في يده قائلاً: هذا ختم على هيئة أسطوانية، وهو مصنوع من الهيماتيت الأسود وعليه نقوش تعود إلى ما قبل أربعة آلاف سنة.

وقرن قوله بأن أخرج من جيبه قطعة من الصلصال ليضعها فوق الختم ويضغطها برفق ثم يرفعها وقد اتضح فوقها الرسم تماماً، فوقفوا يشاهدونه بانبهار إلى أن خرج صوت بلاندل عالياً يقول: أريد الخروج من هذا المكان اللعين. يا لهذه الخيمة اللعينة! هؤلاء الملاعين كادوا يقتلونني، لا يمكنني تحمّل لسعاتهم.

فقال السير دونالد: من يقصد بالملاعين؟

فقال الدكتور كارفر مجيباً: بالتأكيد يقصد الذباب الصحراوي.

فقال السيد باين: يا له من اسم شديد الإيحاء!

* * *

في فجر اليوم التالي بدؤوا رحلتهم. كانوا يسيرون ببطء بسبب الدكتور كارفر الذي كان يمشي ناظراً في الأرض وكأنه يبحث عن شيء ما، وكان بين لحظة وأخرى ينحني ليلتقط شيئاً ما من فوق الأرض، فقال الكولونيل دي بوسك: يمكن ببساطة أن تعرف عالِم الآثار؛ علماء الآثار يمشون دائماً باحثين عن شيء ما في الأرض.

فسألته كارول: وعمّ يبحثون؟

ففرد الدكتور كارفر كفه مبتسماً ليريها قطعتين من الفخّار القديم، فقالت باحتقار ودهشة: أتبحثون عن هذه الأشياء التافهة؟!

- صدقيني يا ابنتي، الفخار أكثر إثارة من الذهب.

فنظرت إليه ذاهلة في حين واصل الجميع رحلتهم حتى وصلوا إلى منحنى في الطريق، ثم مروا بجانب ثلاث مقابر منحوتة في الصخر، وكان عليهم أن يبدؤوا صعوداً شاقّاً على الصخر، فسبقهم بَدو الصحراء في الصعود دون أدنى مشقّة دون أن ينظروا إلى أسفل، ولكن كارول بدا عليها الخوف فمدّ لها أحد البدو كفه، وأسرع هيرست ليعطيها عصاه هو الآخَر، ولم تمضِ دقيقة حتى كانت تقف فوق الصخرة بأمان تامّ، وبعد دقَائق قليلة كان الآخَرون معها.

كانت الشمس في ذلك الوقت قد توسّطت السماء فارتفعت درجة الحرارة. وصلوا إلى هضبة قريبة من القمة حيث صعدوا سهلاً ثم وصلوا إلى قمة كبيرة متسعة مربعة، فطلب بلاندل من الدليل أن يترك المجموعة ليكملوا الصعود وحدهم، فبقي البدو عند الصخرة وتركوا المجموعة يصعدون حتى وصلوا بعد دقائق إلى القمة. كان المكان عجيباً خالياً من أي شيء، وكان منظر الوادي أخّاذاً بانبساطه التام على مدى البصر، فقالت كارول بحماس: يا له من مكان رائع يصلح لتقديم القرابين! ولكن أظن أنه كان شاقاً جداً إحضار الضحايا إلى هنا.

قال الدكتور كارفر: في الماضي كان هنا طريق متعرج يصل إلى القمة، وسوف نرى بقاياه في الجانب الآخَر منها.

بقوا يتحدثون قليلاً، ثم سمعوا صوت رنين معدنيّ فقال الدكتور كارفر: لقد سقط قرطك يا آنسة بلاندل.

فوضعت يدها على أذنها وهتفت: يا إلهي! هذا صحيح.

فبدأ السيد دي بوسك والسيد هيرست في البحث عن القرط في حين قال الفرنسي: المكان هنا مسطّح فلا يمكن أن يكون قد انزلق بعيداً.

وفجأة قال السيد هيرست: ها هو. لا، اللعنة، إنها مجرَّد حصاة!

قالت كارول: أمن الممكن سقوطه في أحد الشقوق؟

فقال السيد باين: لا توجد شقوق في هذا المكان، بل الصخر أملس جداً.

بعد فترة من البحث ظهر التوتر على الأوجه، ورغم صمتهم كانت هناك أسئلة كثيرة تدور في أذهانهم حول مبلغ يصل إلى ثمانين ألف دولار. سألها والدها بلهجة جافة: هل أنت متأكدة من أنك كنت تلبسينه؟ ألا يمكن أن يكون قد سقط في أثناء الصعود؟

- بل أنا متأكدة أنه كان في أذني عندما صعدنا إلى هنا، حتى إني أتذكر أن الدكتور كارفر نبّهني إلى أنه غير محكَم الربط ثم قام بربطه لي بنفسه، أليس كذلك يا دكتور كارفر.

قال: بلى.

قال السير دونالد: أعلم أن الأمر محرج للغاية يا سيد بلاندل. لقد علمنا جميعاً منك أن قيمة هذا القرط تساوي ثروة، وإذا لم يُعثر عليه فسوف نكون جميعاً في موضع الشبهة.

فقال الكولونيل دي بوسك: حسناً، أنا أريد أن يتمّ تفتيشي.

وقال هيرست بلهجة جافة: وأنا أيضاً.

فنظر السير دونالد نحو الآخَرين وقال: وما رأي الباقين؟

فقال السيد باين: لا مانع لديّ.

وقال السيد بلاندل: ولا لديّ، بل إن لديّ من الأسباب التي لا أريد الإفصاح عنها ما يجعلني أريد أن يتمّ تفتيشكم.

ثم طلب من ابنته أن تذهب للانضمام إلى الدليل والبدو، فتركتهم صامتة بادية اليأس والإحباط، وقد لاحظ أحدهم ما كان على وجهها من تعبيرات ولكنه لم يكن يدري السبب فيه.

بدأت عملية تفتيش دقيقة لكل الأفراد، ولكن القرط لم يكن مع أيٍّ منهم، ولهذا فقد نزلوا من قمة الصخرة مكتئبين ولم يجدوا طعماً لبقية الرحلة.

* * *

قبل موعد الغداء كان السيد باين يغيّر ملابسه فلاحظ وجود شخص على باب خيمته يطلب الإذن بالدخول، وحينما ميّز الصوت قال: تفضّلي يا آنسة كارول. فدخلت وجلست وعلى وجهها نفس التعبير الذي تركتهم به على قمة الصخرة، قالت له: تقول إنك تحل مشكلات الناس، أليس كذلك؟

- ولكنني لا أقبل القضايا في فترة الإجازة يا ابنتي.

فقالت بهدوء: ولكنك ستقبل هذه القضية. سيد باين، أنا أشد تعاسة ممّا تتخيل.

- هل تقصدين مسألة القرط؟

- نعم يا سيدي، فجيم هيرست لم يسرق القرط وأنا موقنة من هذا.

- ولماذا تقولين جيم هيرست بالذات؟!

- لأنه كان لصاً من قبل، وقد أُلقي القبض عليه في منزلنا فأشفقت عليه لأنه كان صغير السن وكان يائساً من الحياة، ولهذا أقنعت والدي أن يترك له فرصة أخرى. وقد وافق والدي فوراً لأنه لا يؤخّر لي مطلباً، وقد كان جيم جديراً بتلك الفرصة إذ بدأ أبي يثق به ويأتمنه على أسرار أعماله، وقد كانت الأمور كلها تجري على خير ما يُرام حتى وقع حادث ضياع القرط اليوم.

- ماذا تقصدين بأن الأمور تجري على خير ما يُرام؟

- أقصد أنني وجيم اتفقنا على الزواج.

- وماذا عن السير دونالد؟

- أنا لم أختَر السير دونالد، ذلك العجوز المأفون، بل أبي هو الذي اختاره لي. كما أن دونالد يظنني سأكون خلاصاً له من رَهن ضيعته.

فقال السيد باين بعد تفكير قصير: ردد البعض أمس

نظرية مؤداها أن اللص يبقى دائماً لصاً، وقد فهمتُ منك الآن سبب الحرج والتوتر الذي تسبب فيه هذا الكلام.

- أجل، كان هناك إحراج كبير لجيم وأبي، وكنت أخشى أن يظهر الاستياء على وجه جيم ولهذا عملت على تغيير مجرى الحديث.

- وما الذي جعل أباك يصر على تفتيش جيم اليوم؟

- سيد باين، لقد خاف أبي أن أعتقد أنه نصب فخاً لجيم. أبي يريد منّي أن أتزوج ذلك الإنكليزي المأفون، ولهذا أراد أن يثبت أن لم يفعل ما يجعلني أصرف نظري عن جيم.

- هذا يعرقلنا عن معرفة حقيقة ما حدث اليوم.

- هل أصابك اليأس؟

- بالطبع لا، ولكنني لم أعلم بعدُ ما تريدين منّي فعله.

- أريدك أن تثبت أن جيم لم يسرق القرط.

- وماذا إذا كان قد سرقه بالفعل؟

- لا يمكن أن يكون قد سرقه. أنت مخطئ في هذا الظن.

- ولكن من المحتمَل أن يكو قد سرقه ليقيم بثمنه

مشروعاً يمكنه من دخله أن يتزوجك حتى إن كان والدك رافضاً.

قالت بصرامة: سيد باين، لم يسرق جيم القرط.

- حسناً، سأبذل قصارى جهدي.

فشكرته الفتاة وتركت خيمته، ولم تمضِ ثوان حتى انفجر في الضحك فجأة وهو يقول: أظن أنني بدأت أفقد ذكائي.

* * *

عندما جاء وقت الغداء كان السيد باين مرحاً سعيداً، وفي فترة بعد الظهر كان معظمهم قد أوى لفراشه. ولمّا دخل السيد باين الخيمة الكبيرة عند الرابعة عصراً كان فيها الدكتور كارفر وحده مستغرقاً في فحص بعض القطع الفخارية التي وجدها، فقال له السيد باين: سيد كارفر، لقد كنت أبحث عنك؛ تلك القطعة من الصلصال التي كانت معك.

فأخرجها السيد كارفر من جيبه وأعطاها له فقال السيد باين: بل أريد محتويات الصلصال لا الصلصال نفسه.

فبقي السيد كارفر صامتاً برهة ثم قال بصوت هادئ: لا أفهم مقصدك يا سيد باين.

- بل أظنك تفهمني جيداً يا سيد كارفر. أنا أقصد قرط الآنسة بلاندل.

فبقي الدكتور كارفر صامتاً لمدة دقيقة كاملة، ثم مدّ يده في جيبه وأخرج قطعة أخرى من الصلصال وقال وهو يقدمها إلى السيد باين دون ظهور أية تعبيرات على وجهه: أنت في شدة البراعة يا سيد باين.

فأخذ منه قطعة الصلصال وبدأ يزيل الصلصال من فوق اللؤلؤة وهو يقول: ربما أكون فضولياً، ولكنني أريد أن أعرف كيف أخذتَها.

- حسناً، سأخبرك بشرط أن تخبرني كيف عرفتَ أنه أنا، فأنا على يقين من أنك لم ترَني.

- بالطبع لم أرَك، ولكنني فكّرت تفكيراً منطقياً.

- حسناً، كل ما هنالك أنني كنت أسير خلفكم في الصباح فوجدت القرط ملقى أمامي، فأخذته ووضعته في جيبي حتى أعيده للفتاة عندما ألحق بها، ولكنني نسيت إعطاءه لها، وفي أثناء الصعود فكّرت في أن مثل هذا القرط لا يساوي شيئاً عندها ولا عند والدها ولكنه عندي يساوي ثروة تجعلني أبعث بعثة إلى بالوخستان للاستكشاف عن التاريخ هناك؛ فهي منطقة غنية بالحفريات الأثرية. عند ذلك تذكرت حديثك عن الإيحاء، وكان من الواضح أن الفتاة من النوع الذي يسهل الإيحاء له. حين وصلنا إلى القمة أخبرتها أن قرطها غير محكَم وتظاهرتُ بتثبيته لها، وضغطت بطرف قلمي على أذنها لأوحي إليها بأنني أثبت القرط، وبعد ذلك أسقطتُ حصاة صغيرة ظنّت معها امتداداً لحالة الإيحاء أن

خاتمها قد سقط، في حين كنت قد دفنتُ اللؤلؤة في قطعة الصلصال. هذا هو الأمر كله، فماذا عنك؟ كيف عرفت أنه أنا؟

- لقد كنتَ الوحيد الذي يبحث عن أشياء في الأرض، وذلك ما جعلني أفكر في ناحيتك. والعثور على الحصاة أوضح اللعبة التي كنت تلعبها. كما أنك تحدثت بحماس شديد عن مسألة الشرف، فكنت كمن يريد أن يقنع نفسه بما لا يؤمن به، وكنتَ في المقابل تبدي احتقاراً شديداً للمال، أكثر مما يجب.

ثم التقط السيد باين نفسه وقال: لقد انتهى الأمر الآن وعليك إعادة القرط لصاحبته. يا لها من عادة غريبة ارتداء الحليّ! لست أدري ما الذي جعلها تطرأ على ذهن حوّاء! أتعلم يا سيد كارفر أنك تظلم الآنسة كارول؟ الآنسة كارول فتاة ذكية طيبة القلب ولا أظنها ستخبر أحداً.

- وهل تظن والدها سيسكت؟

- أظن ذلك بالفعل؛ فلديه من الأسباب ما يجعله يسكت. هذا القرط لا يساوي أكثر من خمسة جنيهات.

- أتقصد أن...؟

- نعم، الفتاة مخدوعة وتظن اللؤلؤ حقيقياً. لقد شككت في الأمر أمس عندما أكثر السيد بلاندل من الحديث عن ثرائه، والمبالغة تدلّ على سوء الأحوال في

غالب الأحيان.

فظهرت ابتسامة سعيدة على وجه السيد كارفر وهو يمدّ يده ليصافح السيد باين ويقول: إذن فنحن جميعاً في الفقر سواء؟

- تماماً يا سيد كارفر، جميعنا فقراء.

* * *

المرأة الغنية

كانت السيدة إبنر رايمر من الشهرة بحيث كان السيد باين قد سمع اسمها كثيراً، ولكن ما أثار دهشته أن يعرف أنها في مكتبه وتريد مقابلته، فطلب من السكرتيرة أن تدخلها على الفور، وحين دخلت وجدها امرأة طويلة عريضة ذات جسم مترهّل، وكانت ترتدي معطف فراء باهظ الثمن يزيد من ضخامتها والمساحيق تغطي وجهها العريض، وكان شعرها مصففاً بعناية تعلوه قبعة محلاّة بريش النعام.

جلست أمامه وقالت: إذا كنت ماهراً في عملك فعليك مساعدتي في إنفاق ثروتي.

- لا يطلب الكثيرون مثل هذا الطلب الغريب هذه الأيام! هل يصعب عليك إنفاقها؟

- جداً، فلديّ ثلاثة معاطف جلدية ومئات الفساتين وسيارة ومنزل في بارك لين ويخت (غم أني لا أحب البحر) وخدم، وقد زرت معظم بلدان العالم. المشكلة أنني لا أجد الآن ما أشتريه أو أفعله.

- وماذا عن المستشفيات.

- سيد باين، أنا لا أعطي نقودي للآخَرين لأنني تعبت

بشدة في جمعها، وإذا كانت لديك أفكار جيدة فسوف أعطيك أكثر مما تتخيل.

- حسناً، حدّثيني عن نفسك أولاً.

- أنا لا أشعر بالخجل من ماضيّ ونشأتي. كنت أعمل في عزبة حين كنت فتاة صغيرة، وكان العمل شاقّاً، وربطَت بيني وبين إبنر الذي كان عاملاً في الطاحونة المجاورة علاقة عاطفية استمرت نحو ثماني سنوات انتهت بزواجنا. كان رجلاً طيباً وكنت في غاية السعادة معه. أنجبنا ثلاثة أولاد وبنتاً، وماتوا جميعاً صغاراً، ولو لم يموتوا لتغيّر الحال تماماً. كان زوجي يعاني مرضاً في قلبه، ولهذا لم يُجنَّد في الحرب، وحين أنجز عملية ناجحة في عمله كوفئ مكافأة سخية مما جعله يعمل لحساب نفسه بقيمة المكافأة، وسريعاً كان قد اشترى مصنعَين كانا مهدَّدَين بالإفلاس، وقد أدارهما بنجاح تامّ، ثم أصبحت الأمور كلها سهلة وانهالت علينا النقود من كل جانب، وما زالت تنهال.

شردت ببصرها لحظة قبل أن تكمل: كان الأمر في بدايته جميلاً، مع وجود الخدم وعدم التعب في العمل. كنت أشعر بالمتعة في كل شيء في حياتي فسافرت إلى باريس والريفييرا و...

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- أصبحت الرفاهية شيئاً عاديّاً كغيره، وحتى الطعام لم نعُد نشتهيه، رغم أنه في إمكاننا طلب الطعام من أي مكان في

العالَم. وبدأ زوجي يقلق على صحته، وأنفقنا الكثير والكثير على علاجه ولكن بلا فائدة ولا طائل. جرّب معه الأطباء كل الوسائل ولكن لا فائدة. ثم مات في الثالثة والأربعين من عمره.

مسحت دمعة كادت تنحدر على خدها وهي تكمل: لقد مضى على وفاته الآن خمس سنوات، والنقود كما هي تتدفق عليّ، ولم يعُد هناك شيء أرغب في شرائه. فأخبرني أيها العبقري، ماذا يمكنني أن أفعل؟

- هل تقصدين أن حياتك أصبحت مملة ولا شيء فيها مثير لاهتمامك؟

- أنا أكره هذه الحياة لأن كل من حولي لا يهمّهم إلاّ نقودي، وأصدقائي القدامى يتضايقون حين أزورهم بسيارتي. هل لديك حل لما أنا فيه؟

- هذا الأمر بالتأكيد صعب يا سيدتي، ولكن أظنني أستطيع أن أعيد لك ما فقدتِه، حبك للحياة.

- وكيف يمكن هذا؟

- أنا لا أكشف عن طرقي في حلول المشكلات. احتمال النجاح غير مضمون، فهل تقبلين المجازفة؟

- كم تكلفة المجازفة؟

- ألف جنيه تُدفع مقدَّماً؛ فسوف نتبع طرقاً صعبة.

- لقد اعتدت دفع الكثير، واعتدت أيضاً على الحصول على مقابل ما أدفعه.

- بالتأكيد سيكون هناك مقابل لما تدفعينه لنا.

فقامت من مقعدها وأخبرته أنها سترسل له شيكاً بالمبلغ، ثم قالت: لست أدري ماذا يجعلني أثق بك، ومن الممكن أن أكون غبية بتصديقي ذلك الإعلان الذي تقول فيه إنك تستطيع إسعاد الناس.

- سيدتي، إعلاناتنا تكلفنا كثيراً، وإذا لم أكن بالكفاءة الكافية فسوف أخسر نقودي. أنا أعلم سبب تعاستك وأعلم تقريباً كيفية معالجتها.

فبدا في عينيها شيء من الشك ثم خرجت من المكتب، فدخل كلود لوتريل وهو يقول: هل هذا من اختصاصي؟

- لا، ليست المهمة بهذه البساطة، وعلينا المجازفة والعمل بطريقة غير عادية.

- هل هي من اختصاص السيدة أوليفر؟

- لا، بل نحن نحتاج شيئاً أكثر جرأة، نحتاج إلى الدكتور أنتروباس.

* * *

بعد مضيّ أسبوع دخلت السيدة رايمر مكتب السيد باين تسأله عن سبب تأخّره في تنفيذ ما وعدها به، فقال لها

إن التأخّر كان ضرورياً لأنهم كانوا يحتاجون لإتمام بعض التجهيزات، كما كان عليه استحضار رجل متخصص من أوروبا.

ثم ضغط السيد باين زراً في مكتبه حضرت على إثره فتاة جميلة ترتدي رداء الممرضات، فسألها: هل أنتم مستعدون؟

- نعم، الدكتور كونستانتين على أتمّ الاستعداد.

فسألت السيدة رايمر: ماذا ستفعل بي يا سيد باين؟

- سترين سحر الشرق يا سيدتي.

واتجهت مع الممرضة إلى الطابق العلوي لتدخل غرفة وجدتها لا تنتمي إطلاقاً لبقية المنزل، بل كان أثاثها على طراز المنازل الشرقية، فيغطي السجاد الفاخر أرضها وتنتشر الوسائد الناعمة على مقاعدها، كما كان هناك رجل يصنع القهوة، فقدمته لها الممرضة قائلة: أقدم لك الدكتور كونستانتين.

كانت ملابسه أوروبية، ولكنه كان أسمر البشرة أسود العينين يرتدي نظارات نفاذة. قال: هل أنتِ المريضة؟

فقالت بتحدّ: أنا لست مريضة.

- لست أقصد بالمرض جسدك، بل روحك، وفي الشرق يمكننا علاج الروح. اجلسي واشربي قهوتك.

جلست ورفعت قدح القهوة الصغير إلى شفتيها في حين قال الدكتور كونستانتين مكملاً: الجسد كالآلة الموسيقية، نعزف عليها اللحن الحزين ونعزف عليها اللحن السعيد، واللحن الأخير هو الذي سنقدمه لك. أنت امرأة ثرية، وسوف نجعلك تتمتعين بثرائك وستصير الحياة أجمل وأجمل، وهذا الأمر سهل جداً.

كان يقول كلماته في حين يرتفع لحن موسيقي راقص، فبدأ شعور جميل بالخدَر يسري في جسد السيدة رايمر وبدأت تشعر بالرغبة في النوم، وكانت ترى كل ما حولها يكبر ويتسع، فحدق الدكتور كونستانتين في عينيها وهو يقول بصوت عميق: نامي، نامي، جفونك ثقيلة جداً، نامي...

فانطبقت عيناها وهي تشعر بأنها تسبح في عالم غريب جميل ممتع، وحلمت أحلاماً كثيرة غريبة، وشعرت أنها استيقظت ثم نامت ثم استيقظت ثم نامت، وفي كل مرة كان تحلم أحلاماً مشابهة، رأت عرَبة وفتاة شرقية الملامح ترتدي زيّ ممرضة...

وفجأة استيقظت. كانت فوق فراش حسبته في البداية فراشها، ولكنها أدركت من خشونته أنه ليس فراشها، كما أكّد لها ذلك أنه أصدر صريراً عالياً حين بدأت تتحرك من فوقه. لم تكن الغرفة تشبه غرف المستشفيات بل كانت عارية من الأثاث إلا من منضدة صغيرة في الركن فوقها إناء

وإبريق، ومنضدة صغيرة عليها بعض أدوات الزينة، وخزانة معدنية صغيرة لحفظ الملابس، وكانت الملابس المعلَّقة في الخزانة غريبة في شكلها، وكان غطاء السرير مرقَّعاً.

قالت السيدة رايمر بدهشة: أين أنا؟! ما هذا المكان؟

وهنا فُتح الباب لتدخل منه امرأة بدينة حمراء الخدَّين تشمّر عن ساعدَيها وترتدي زي الطاهيات، قالت: أراكِ استيقظت. تفضّل يا دكتور.

كادت السيدة رايمر تقول شيئاً، ولكنها فوجئت أن الذي دخل عليها لم يكن الدكتور كونستانتين بل كان رجلاً عجوزاً محنيّ الظهر على عينيه نظارات طبية سميكة. تقدم منها قائلاً: لا تخافي، ستصبح الأمور كلها جيدة.

فقالت بجزع: ماذا حدث؟! ماذا حدث لي؟

- مجرد أزمة بسيطة جعلتك تغيبين عن الوعي يوماً أو اثنين... لا تقلقي.

فقالت المرأة البدينة: لقد كنّا خائفين عليك بشدة يا هانا؛ فقد كنتِ تهذين بأشياء غريبة!

فقال الطبيب: هذا يكفي يا سيدة غاردنر، فعلينا عدم إزعاج مريضتنا.

ثم التفت إلى السيدة رايمر قائلاً: ستكونين بخير حال سريعاً. اطمئنّي.

وقالت السيدة غاردنر: ولتطمئنّي من ناحية العمل أيضاً، فالسيدة روبرتس تساعدني في الأمر... عليك فقط أن تستريحي.

فقالت السيدة رايمر بدهشة: لماذا تدعينني هانا؟!

فقالت لها بارتباك: هذا اسمك يا عزيزتي. بماذا أدعوك غير اسمك؟

- لا، اسمي السيدة أماليا رايمر.

فتبادل الطبيب النظرات مع السيدة غاردنر التي قالت: فلتستريحي يا عزيزتي.

وقال الطبيب: نعم، لا تحاولي إجهاد ذهنك في أي شيء.

ثم انسحبا من الغرفة تاركَين السيدة رايمر وراءهما في بحر من الحيرة والارتباك. أين هي؟ ومن هي هانا؟ ولماذا كانت نظراتهما ذات المغزى؟ وماذا حدث لها؟

قامت من فراشها لتقف على الأرض، ولكنها فوجئت بساقيها ضعيفتَين جداً لا تقويان على حملها، ومع ذلك تحاملت عليهما حتى وصلت إلى النافذة لتنظر من خلالها، فوجدت نفسها أمام حقل يمتد إلى مدى بصرها، فعادت إلى الفراش وقد تضاعفت حيرتها! كانت تردد على نفسها: ماذا أفعل هنا؟ من جاء بي إلى هنا؟

وفجأة سمعت الإجابة من السيدة غاردنر التي كانت قد أحضرت لها بعض الحساء وقالت: لم يحضرك أحد هنا يا عزيزتي هانا. هذا منزلك وأنت تعيشين معنا هنا منذ خمس سنوات.

- أنا؟! خمس سنوات؟!

- نعم، ألا تتذكرين أي شيء؟!

- بل لم أسكن هنا قَطّ، ولم أرَك من قبل.

- بالتأكيد أنت لا تتذكرين بسبب ذلك المرض اللعين.

- أنا لم أرَ هذا المنزل من قبل.

فذهبت السيدة غاردنر إلى منضدة التزيّن لتحضر من فوقها صورة ضوئية قديمة، نظرت فيها السيدة رايمر فوجدت رجلاً ملتحياً والسيدة غاردنر نفسها ورجلاً رفيعاً طويل القامة له ابتسامة جذابة وامرأة ترتدي رداء قماشياً عاديّاً، وكانت تلك المرأة هي نفسها السيدة رايمر!

نظرت إلى الصورة بذهول في حين تركت السيدة غاردنر الحساء إلى جوارها وتركت الغرفة بصمت، أما السيدة رايمر فدون وعي منها أخذت تتناول الحساء الذي كان جيداً وساخناً، ولكن عقلها كان في قمة الحيرة والذهول. مَن منهما المجنونة، هي أم السيدة غاردنر؟ ولكن

هناك ذلك الطبيب العجوز. وفي النهاية قالت لنفسها بقوة: أنا أماليا رايمر، ولن يستطيعوا إقناعي بغير هذا.

ثم أكملت الحساء ووضعت الإناء فوق المنضدة، فرأت صحيفة ملقاة بجانب المنضدة فرفعتها لتجدها بتاريخ التاسع عشر من تشرين الأول (أكتوبر)، فتذكرت اليوم الذي ذهبت فيه إلى مكتب السيد باين وهو الخامس عشر أو السادس عشر، ومعنى هذا أنها بقيت مريضة نحو ثلاثة أيام، فقالت بغضب: يا لذاك الطبيب اللعين!

كانت قد هدأت قليلاً لأنها سمعت من قبل عمّن يفقدون ذاكراتهم أعواماً وأعواماً، ولكنها لم يحدث لها هذا والحمد لله. أخذت تقلب الصحيفة دون تركيز، وفجأة رأت خبراً في إحدى الصفحات يقول: «السيدة رايمر أرملة ملك الصناعة تمّ نقلها بالأمس إلى مستشفى للأمراض العقلية بعد أن مضى يومان تقول فيهما إنها خادمة اسمها هانا مورهاوس»، فقالت بغضب: ذلك اللعين باركر باين يقوم بخدعة ما!

ولكن قبل أن تكمل جملتها وقعت عيناها على خبر آخر يقول: «**على مسؤولية الدكتور كونستانتين**: كشف بالأمس الدكتور كونستانتين عن بعض من نظرياته الغريبة في محاضرة ألقاها في لندن قبل اتجاهه إلى اليابان. قال إنه يمكن نقل الروح من جسد إلى آخَر إذا تعرض الجسدان إلى التنويم المغناطيسي وإذا كان الشخصان على درجة عالية من

التشابه، وليس من الضروري التشابه في الحالة الاجتماعية، وقال إنه قد تمكّن من إجراء تجربة مماثلة بنجاح».

فألقت السيدة رايمر بالصحيفة جانباً وهي تقول لنفسها بغضب وقد شعرت أنها أدركت الحقيقة: يا لها من مؤامرة منحطة من ذلك الحقير باين! لقد استخدم هانا مورهاوس ليبتزني، وربما كانت هي بريئة تماماً ولكن المجرم الحقيقي هو باركر باين والشيطان كونستانتين، ولكنني سأفضح أمره أمام الجميع.

ولكنها تذكرت أنها مودَعة في مصحة عقلية ولن يستمع لها أحد، وإذا حاولت أن تفعل شيئاً فسيمكنهم بسهولة أن يثبتوا عليها حالة الجنون، وكان عليها عدم المخاطرة.

في تلك اللحظة دخلت السيدة غاردنر قائلة: سيفيدك هذا الحساء كثيراً يا عزيزتي.

- منذ متى وأنا مريضة هنا؟

- منذ نحو ثلاثة أيام، منذ الساعة الرابعة يوم الأربعاء الماضي.

وكان ذلك التوقيت هو بالتقريب الوقت الذي أدخلوها فيه إلى الدكتور كونستانتين، وقالت السيدة غاردنر: لقد سقطتِ عن مقعدك وأنت ترددين أنك تريدين النوم، ثم نمت فعملنا على نقلك إلى هنا وقمنا باستدعاء الطبيب، وأنت هنا منذ ذلك اليوم.

- أظن أن أفضل وسيلة للتأكد من شخصيتي هي وجهي.

- ليس هذا شرطاً.

- ماذا؟! وماذا في المرء أكثر ثباتاً من ملامح وجهه؟

- على العموم توجد شامة على مرفقك الأيمن يا هانا، وأنت بالتأكيد تعلمين هذا.

وكانت السيدة رايمر تعلم تماماً أنه لا توجد شامة على أي جزء في جسدها، ولهذا فقد نظرت إلى مرفقها، وارتدّت مصعوقة؛ فقد وجدت على مرفقها الأيمن تلك الشامة الكبيرة التي تشبه حبة الفراولة. ولم تحتمل السيدة رايمر ما يحدث لها، فانفجرت فجأة في بكاء شديد.

* * *

بعد مضيّ أربعة أيام كانت السيدة رايمر قد أدركت أنها لن يصدقها أحد، حتى لو أطلعتهم على ما نُشر عنها في الصحف ولا إذا قصّت قصّتها للشرطة، ولهذا فكّرت في الذهاب إلى السيد باين. كانت تريد أن تخبره برأيها فيه بأنه وغد لئيم حقير، ولكن لم يكن لديها المال الذي يجعلها تذهب من كورنوول إلى لندن. لكل هذه الأسباب قررت تقبّل الوضع الذي كانت فيه مؤقتاً. لقد قبلت أن تبقى هي هانا مورهاوس حتى تحصل على ما تريده من النقود، ثم تذهب إلى لندن لتتصرف مع ذلك المحتال باين.

جعلتها هذه الفكرة أكثر ارتياحاً ورفعت معنوياتها، حتى إنها كانت تشعر أنها تتسلّى لأن تلك الحياة كانت أشبه بحياتها وهي صغيرة.

* * *

بعد أسبوع واحد كانت قد تأقلمت مع تلك الحياة في المزرعة، وكانت السيدة غاردنر امرأة طيبة وكان زوجها حسن الأخلاق، كما كان في المزرعة عامل ضخم خجول النظرات في الخامسة والأربعين من عمره اسمه جو ولش. مرّت عليها هناك بضعة أسابيع حتى استطاعت جمع المبلغ الذي يجعلها تسافر إلى لندن، ولكنها فضّلت أن تبقى قليلاً لأن باين يمكن أن يُشهد أيّ طبيب على أنها مجنونة فيضعوها في مستشفى الأمراض العقلية فلا تخرج منه بقية حياتها، كما أن القليل من التغيير لن يضرها، بل ربما يفيدها.

كانت تقضي الأيام في العمل الذي يقتضي الاستيقاظ مبكراً، وقد كان جو ولش مريضاً في ذلك الشتاء مما جعلها هي والسيدة غاردنر تتكفلان بتمريضه. وفي الربيع تحسّنت صحته فأخذ يساعدهما في عملهما، وكثيراً ما كانت تصلح له ملابسه، كما كانت هي وجو يذهبان في أيام الأحد للنزهة في الحقول.

علمت منه أنه أرمل ماتت زوجته منذ أربع سنوات، وقد كان يسرف في شرب الخمور بعد موتها ولكنه لم يعُد كذلك. واشترى لنفسه عدداً من الملابس الجديدة، وكانت

السيدة رايمر تضحك من جو وارتباكه الدائم في حين كان هو سعيداً من ضحكها.

وفي الصيف كان العمل كثيراً جداً، وبقي كذلك حتى حلّ موعد الحصاد.

* * *

في الثامن من أكتوبر رفعت السيدة رايمر رأسها في أثناء عملها في المزرعة فرأت السيد باركر باين ينظر إليها من فوق سور المزرعة، فصرخت قائلة: أنت! أيها الوغد الحقير، أيها المحتال...

وبقيت تسبّه حتى أنهكها التعب في حين كان السيد باين مبتسماً وهو يقول: أتفق معك تماماً فيما قلتِه بشأني.

- أيها الكاذب الحقير. لقد أودعتَ أنت وأطباؤك تلك المسكينة هانا في مستشفى الأمراض العقلية.

- أبداً يا سيدتي، فلا توجد أصلاً مَن تُدعى هانا مورهاوس.

- بالطبع لن أصدق هذا؛ لقد رأيت الصورة بنفسي.

- إنها صورة مزيَّفة.

- وماذا عن الصحيفة؟

- كانت نسخة مزيَّفة هي الأخرى.

- وماذا عن ذلك المحتال كونستانتين؟

- لقد كان صديقاً لي موهوباً في التمثيل.

- وماذا عن التنويم المغناطيسي؟

- لم يكن هناك تنويم مغناطيسي، بل كان هناك منوّم في القهوة نُقلتِ بعده إلى هنا حيث استعدتِ وعيك.

- هل معنى هذا أن السيدة غاردنر تعلم بالأمر؟

- نعم.

- لا شكّ أنك قمت برشوتها لتقوم بتلك الأكاذيب أيها الحقير.

- السيدة غاردنر تثق بي لأنني أنقذت ابنها من حكم بالإعدام ذات يوم.

- وماذا عن تلك العلامة على ذراعي؟

- انظري إليها وستجدين أنها تصغر تدريجياً، وفي بضعة أشهر ستكون قد تلاشت.

- ما الغرض إذن من وراء كل هذا السخف؟! لماذا تجعلونني هنا خادمة؟ آه، أنت بالتأكيد نهبت الكثير من أموالي وأظن هذا هو الهدف من كل ما حدث.

- لقد حصلت منك على توكيل بالتصرف في أموالك كما أشاء حين كنتِ تحت تأثير المخدر، ولكنني لم آخذ

منها إلاّ الجنيهات الألف التي اتفقنا عليها ولم أمسّ شيئاً من الباقي، بل تولّيت أمور المالية وجعلتها تتحسّن.

فقالت بارتباك: ولكن... لماذا...؟!

- سيدة رايمر، أريد أن أسألك سؤالاً واحداً وأتمنّى أن تجيبي عليه بأمانة شديدة: هل أنتِ سعيدة؟

فقالت بدهشة: سعيدة! هل تسرق نقودي ثم تسألني إن كنت سعيدة؟! يا لك من وقح!

- أعلم أنك غاضبة، ولكن انسي أعمالي السيئة الآن. لقد أتيتِ إلى مكتبي منذ نحو عام وأنت تعيسة، فهل أنت الآن تعيسة؟ إذا كنت كذلك فلك أن تقومي بما تشائين من إجراءات ضدي وسوف أعيد إليك جنيهاتك الألف كاملة. والآن: هل أنت سعيدة أم تعيسة؟

فصمتت فترة ثم قالت: بل أنا امرأة سعيدة جداً، ولم أشعر بمثل هذه السعادة منذ مات زوجي. سأتزوج جو ولش، وقد كنّا سنعلن ذلك يوم الأحد القادم.

- وبالطبع تغيّر هذا الآن أليس كذلك؟

- هل تظن أن المال يمكن أن يجعلني امرأة برجوازية؟ أنا لست كذلك يا سيد باركر. إنني متفقة مع جو تماماً وتعمّنا السعادة من كل جانب، أما بالنسبة لك فأتمنّى ألاّ تتدخّل في أمورنا.

فأخرج السيد باين من جيبه ورقة وقال لها: وماذا عن هذا التوكيل؟ هل أمزقه؟

فنظرت إليه هنيهة ثم قالت: بل دعه معك. أعلم أن حديثي معك كان قاسياً، ولكنك تستحق الكثير منه، ولكنني أثق بك بالرغم من مكرك. أريد هنا سبعمئة جنيه فقط لأشتري مزرعة قريبة منا نحبها كثيراً، ولتتبرع بالباقي للمستشفيات.

- هل تعنين أنك ستهبين كل ثروتك للمستشفيات؟

- نعم؛ إن جو إنسان طيب القلب ولكنه ضعيف، ومن الممكن أن تحطمه مثل هذه الثروة الضخمة. لقد جعلته يقلع عن معاقرة الخمر، ولن أترك المال يقف في سبيل سعادتي.

- سيدة رايمر، إن النساء أمثالك عملة نادرة جداً ونسبتهنّ تصل إلى واحدة في كل ألف امرأة.

- معنى هذا أن امرأة من كل ألف امرأة هي التي تملك عقلاً في رأسها.

- فرفع لها قبعته وحيّاها، ثم انصرف من المزرعة فقالت: سيد باركر، أرجو ألاّ تخبر جو بأيّ شيء دار بيننا.

- بالطبع يا سيدتي.

ثم ابتعد وتركها والشمس تغيب هي واقفة تمسك

في يدها ثمرة كرنب وفي اليد الأخرى منجلاً كأيّ فلاّحة أصيلة واثقة من نفسها.

❊ ❊ ❊

الزوج القلق

من أهم الصفات التي يتميز بها السيد باركر باين عطفه وحنانه اللذان يوحيان بالثقة، فهو يعرف حالة الرهبة التي تصيب عملاءه حين يدخلون مكتبه مما يجعله يسهّل عليهم فتح قلوبهم له بهاتين الصفتين.

وفي صباح أحد الأيام جاءه عميل جديد اسمه السيد ريجينالد ويد، وكان من الواضح للسيد باين أن السيد ويد يجد صعوبة في التعبير عمّا في نفسه. كان طويلاً عريضاً أسمر البشرة أزرق العينين ذا شارب صغير يعبث به دون وعي وهو ينظر إلى السيد باين. وفجأة قال: حين قرأت إعلانك جئت إليك، فربما...

وتوقف عن الحديث فقال السيد باين مشجّعاً: المرء دائماً ما يبحث عن حلّ ما حينما تسوء الأمور.

- أجل، أنا على استعداد لأي شيء. الأمر شاق جداً عليّ!

- لا تقلق، أنا خبير في مثل هذه المشكلات.

- ولكن هذه المشكلة شديدة الصعوبة.

فتفرّس السيد باين في ملامحه ثم قال: هل هي مشكلة

مع زوجتك؟

- نعم، تماماً.

- حسناً، قصّ عليّ القصة كلها.

- الأمر كله أنها تريد الطلاق منّي لتتزوج شخصاً آخَر.

- وأنت لا ترغب في الطلاق، أليس كذلك؟

- بلى، لا أرغب فيه؛ أنا أحبها بشدة.

كان واضحاً على الرجل الصدق والبساطة وعدم التكلّف في إبداء حبه لزوجته، مما ترك أثراً قوياً عند السيد باين، في حين أكمل السيد ويد: ولكنني أجد نفسي عاجزاً تماماً عن فعل أي شيء لأنها تفضّل الآخَر، وليس أمامي إلاّ التنحّي له لأنني لا أرغب في أن أزجّ بها في المحاكم.

فقال السيد باين: لماذا إذن حضرت لرؤيتي؟

فأجابه مبتسماً خجلاً: حقيقةً لست أدري. أنا أعلم أنني لست كثير الذكاء، فظننت أنك من الممكن أن تخبرني كيف أتصرف. لقد اتفقت معها على أن نتريّث فترة ستة أشهر، فإذا انتهت الفترة وهي لا تزال ترغب في الطلاق فسوف أطلقها. وقد فكرت أنك يمكن أن تنصحني بما يمكن أن أفعله في هذه الأشهر الستة. أنا رجل عادي أحب الرياضة وأمارسها في حين أنها تحب الفنون والأوبرا والسينما، ومن

المنطقي أن تتضايق منّي، في حين أن ذلك الآخَر طويل الشعر يفهم الكثير في الفن ويستطيع التحدث باستطراد في تلك الأمور. أظن أن أي امرأة ذكية ستكره العيش مع غبيّ مثلي.

- منذ كم تزوجتما؟

- منذ تسع سنين.

- وهل تتعامل معها بطريقتك هذه دائماً؟

- نعم.

- هذا هو الخطأ؛ إياك أن تتواضع أمام النساء، فالمرأة تعاملك كما تراك. عليك أن تفخر بقدراتك الرياضية وتتحدث عن الفن والموسيقى على أنهما ترهات تحبها زوجتك، بل يمكنك تعييرها بأنها لا تمارس الرياضة. صدقني يا عزيزي، التواضع غير مجدٍ في الزواج.

فقال الرجل بارتباك: بماذا تنصحني إذن؟

- كان عليك أن تسألني هذا السؤال منذ سنوات. حسناً، سنحاول بطريقة أخرى. هل تعرف نساء غير زوجتك؟

- لا؛ أنا لا أهتم بغير زوجتي.

- حسناً، عليك البدء فوراً.

فقال له منزعجاً: هل تعني...

- لا تقلق، ستقوم بهذا الدور موظفة لديّ وسوف تخبرك بكل ما عليك فعله، في حين سيكون كل ما بينكما علاقة عمل.

- حسناً، هذا مطمْئن. ولكن ألن يدفعها هذا إلى الإسراع في طلب الطلاق؟

- سيد ويد، إن زوجتك تعدّك سلعة غير مرغوبة، وسوف نجعلك ترغب في الحصول على حريتك من أجل صديقة لك.

- سيسعدها هذا تماماً.

- لن يحدث هذا إذا وجدت أنه قد أُعجبَت بك فاتنة تستطيع اختيار مَن تشاء من الرجال. ستخاف زوجتك أن يقول الناس إنك تركتَها من أجل تلك الفاتنة وسيجعلها هذا تفكّر ألف مرة قبل طلب الطلاق.

- حقاً؟!

- بالطبع يا رجل! ستتغيّر من الآن فصاعداً، ستصبح في نظرها «الوغد ريجي» لا «المسكين ريجي»، وستحاول زوجتك أن تعيدك إليها مرة أخرى دون تفريطها في الآخَر، وستقول لها كل ما كانت تقوله لك: مثل أنه من الأفضل لكليكما أن تنفصلا، وأن طباعكما مختلفة، وأنكما غير متفاهمين... وهكذا. عموماً ستأتيك التعليمات في وقتها فلا تقلق.

- أأنت على يقين من نجاح خطتك هذه؟

- بالطبع، إلاّ إذا كانت زوجتك تحب الآخَر بشدة. ولكنني أظن أن الملل فقط هو الذي جعلها تفكر في هذا الرجل، الملل من إخلاصك غير العادي.

- أظنك على حق، وأنا على استعداد لما تريده. كم تتكلف هذه العملية؟

- مئتَي جنيه.

* * *

كانت حديقة لوريمر كورت رائعة، وقد استلقت إيريس ويد على أحد الكراسي المريحة المنتشرة فيها وقد بدت أقل عمراً من سنواتها الخمس والثلاثين بفضل ما تضعه من مساحيق الزينة على وجهها، وكانت إلى جوارها صديقتها السيدة ماسنغتون التي كانت أقرب صديقاتها إليها. كانت تجمعهما نفس المشكلة مع زوجَيهما اللذين كانا يحبان الرياضة ولا يتحدثان في سواها.

قالت إيريس: أنا أفضّل هذا، أن يعيش الزوج كما يشاء ويترك زوجته تعيش كما تشاء.

فقلت صديقتها: يا لك من امرأة مدهشة يا عزيزتي! ولكن من تلك الفتاة التي مع زوجك؟

فقالت دون اكتراث: صديقته كما تعلمين... ولكن

العجيب أنها ظهرت فجأة. لقد جاءني ريجي متلعثماً ليطلب منّي أن أسمح له باصطحابها في عطلة نهاية الأسبوع، فضحكت منه ساخرة. وها هي معه.

- أين تمّ التعارف بينهما؟

- لقد بدا غامضاً حين سألته هذا السؤال.

- أتظنينه يعرفها منذ مدة؟

- لا، ولكنني سعيدة لأن هذا سيجعل الأمور سهلة؛ لأنني كنت حزينة بسببه لأنه مهما كان الأمر شخص طيب القلب كما كنت دائماً أخبر سنكلير، وما ننوي عمله سيتسبب في أذى نفسي شديد له. ولكن سنكلير يقول دائماً إن ريجي سيستطيع التغلّب على حزنه، وأظنه محقّاً في هذا؛ فقد أصبح يدعو فتاة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بعد أن كان في غاية الحزن منذ أيام. ربما يظن أنه سيستطيع إثارة غيرتي بهذه الطريقة، ولكنه واهم إذا كان يظن أن فتاة كهذه يمكن أن تحبه، وأظنها تتسلّى قليلاً، وهي كما ترين ترتدي ملابس من أرقى وأغلى الملابس.

- من الممكن أن تكوني محقّة. ها هما قادمان في اتجاهنا.

كان ريجي ومادلين يعبران الحديقة ضاحكَين بسعادة واضحة، ثم ارتمت مادلين على مقعد وهي تعبث في خصلات شعرها السوداء. كانت فتاة رائعة الجمال حقاً،

وقالت وهي تنظر إلى ريجي: لقد كانت نزهتنا رائعة، ولكنني بدأت أشعر بالحر الشديد وأظنني أصبحت رثّة المظهر.

بدا ريجي مرتبكاً لأنه كان من المفترَض أن يقول شيئاً متفَقاً عليه من قبل فقال: بل أنتِ...

ثم ضحك قائلاً: لا، لن أقول هذا.

ثم التقت أعيُنهما في نظرات بدا فيها أنهما منسجمان تماماً معاً، ولم تخفَ تلك النظرة على سيدة خبيرة مثل السيدة ماسنغتون.

استدارت مادلين إلى مستضيفتها السيدة إيريس قائلة: أظنك تفقدين الكثير بعدم لعبك الغولف. لي صديقة تمارسها منذ فترة قصيرة وأصبحت ماهرة فيها، وهي أكبر منك في السن.

- أنا لا أهتم بهذه الأمور.

- لا تهتمّين بالرياضة؟! يا لك من مسكينة! الرياضة تنشّط الدماء والتدريب متاح في كل وقت وكل مكان. لقد أحرزتُ تقدّماً في التنس الأرضي في الصيف الماضي، ولكن ما زال أمامي الكثير في الغولف.

فقال ريجي: بل أنت بحاجة إلى القليل من التوجيه فقط. لقد لعبتِ بمهارة اليوم.

- هذا بسبب مهارتك في التعليم؛ فأنت عظيم في هذا، ومن المدهش أن يكون المرء في مثل قدرتك. أظن أنك يمكنك أن تفعل أي شيء.

- بل أظن أنني لا فائدة منّي ولا أستطيع عمل شيء.

فقالت مادلين للسيدة ويد: أنت بالتأكيد فخورة به يا سيدتي، وأظنك بارعة لأنك استطعتِ الاحتفاظ به طوال هذه السنوات من الزواج دون أن تختطفه منك امرأة أخرى. هل كنتِ تُخفينه في مكان ما؟

فصمتت السيدة ويد وهي تلتقط كتاباً بيد مرتجفة في حين استأذن ريجي لتبديل ملابسه، فقالت مادلين: شكراً جزيلاً على استضافتي هنا. الكثيرات من النساء يشعرن بالغيرة على أزواجهن، ولكنني أظن الغيرة شيئاً سخيفاً، ألا ترينه كذلك؟

- بالتأكيد الغيرة شيء سخيف تافه، وأنا لم أشعر بالغيرة من قبل على زوجي.

- من حسن الحظ أنك لا تشعرين بالغيرة لأن ريجي رجل جذاب، بل إنني صُدمت حين عرفت أنه متزوج.

- جميل أن تريه جذاباً.

- أنا أراه جذاباً ووسيماً وبارعاً في الرياضة، كما أن تظاهره بعدم الاهتمام بالنساء يجذب النساء نحوه بشدة.

- هل لك أصدقاء كثيرون من الرجال؟

- نعم، فأنا أفضّل صحبة الرجال عن صحبة النساء لأنهنّ يكرهنني، ولكنني لست أدري السبب.

فقالت السيدة ماسنغتون ضاحكة: ربما كان هذا بسبب تودّدك إلى أزواجهن.

- كثيراً ما أشعر بالأسى نحو الأزواج الذين يرتبطون بزوجات مُملاّت مترفّعات، في حين يرغب الرجل في امرأة ذكية نشيطة يحب التحدث إليها، ولهذا أفضّل الاتجاهات الحديثة الخاصة بالزواج والطلاق والتي تجعل المرء يبدأ حياته الزوجية صغيراً مع شخص يتفق معه ويناسبه. هذا أفضل لجميع الأطراف، أليس كذلك يا سيدة ويد؟

- بالتأكيد.

أحسّت مادلين أن البرود دبّ بينهما فتركت المكان معتذرة بتغيير ملابسها، ولم تكد تبتعد حتى قالت السيدة ويد: يا لفتيات هذه الأيام من مخلوقات مقيتة! رؤوسهنّ لا يمكنها التفكير.

فقالت السيدة ماسنغتون: ولكن في رأس هذه الفتاة فكرة واحدة، وهي حب ريجي.

- لا، هذا مستحيل!

- بل هو صحيح تمام الصحة. هل لاحظتِ نظراتها

إليه؟ ثم إنها لا تهتمّ إن كان متزوجاً أو غير متزوّج، ويبدو أنها تريد الاحتفاظ به لنفسها، وأنا أرى هذا أمراً سيئاً جداً.

فبقيت السيدة ويد صامتة لحظات ثم قالت بضحكة مفتعَلة: وفيمَ يعنيني أنا؟

ثم قامت لتغير ملابسها في غرفتها فوجدت زوجها يغيّر ملابسه وهو يغني فقالت: هل أمضيت وقتاً طيباً؟

- إلى حدّ ما.

- يسعدني أن أراك سعيداً.

لم يكن جيري يستطيع إتقان دوره، وقد ساعده هذا مع ارتباكه الداخلي ومحاولته الهرب من نظرات زوجته على أن يبدو في هيئة الشخص الذي يعذبه ضميره تجاه زوجته، فسألته فجأة: منذ متى تعرف هذه الفتاة؟

- أي فتاة؟

- الآنسة مادلين بالطبع.

- منذ فترة.

- ولكنك لم تذكر لي شيئاً عنها.

- ربما سهوت عن ذلك.

- ماذا؟ سهوت؟!

ثم تركت الغرفة حانقة وهي لا تدري بأي شيء كانت تشعر.

* * *

بعد أن شربوا الشاي صحب السيد ويد الآنسة مادلين ليشاهدا الحديقة سوياً، ولم يكادا يبتعدان حتى قال لها: من الأفضل إنهاء هذا الأمر فوراً. لقد نظرت إليّ بكراهية منذ برهة.

- لا تقلق يا سيد ويد؛ الأمور تمضي كما خطّطنا تماماً.

- حقاً؟

- نعم. زوجتك الآن تتلصص علينا لتعرف ما نفعله، فلتقبّلني الآن.

- وهل هذا ضروري؟

- نعم، قبّلني حالاً.

فقبّلها بلا حماس، ولكنها ألقت بذراعَيها حول عنقه. ثم تراجع هو بضع خطوات إلى الوراء فقالت له بأسى بدا حقيقياً: هل كانت قبلتي سيئة؟

- لا، ولكنها المفاجأة فقط. من الأفضل أن نعود الآن.

وحين عادا إلى الحديقة وسألا عن السيدة ويد قالت

لهما السيدة ماسنغتون إنها ذهبت لتستريح قليلاً، فذهب ويد ليطمئن على زوجته فوجدها شبه منهارة، وحين عاد إلى مادلين قال لها إنها في حالة تقارب الهستيريا، فقالت له: هذا عظيم، وهذا معناه أنها رأتك حين قبّلتَني، وهو كل ما كنّا نريده.

- لقد سألَتني عن ذلك، ولم أستطِع أن أقول إلاّ أننا وجدنا أنفسنا نتبادل قبلة فجأة.

- هذا أيضاً رائع يا سيد ويد.

- لقد قالت لي إنك تريدين اصطيادي وإنك تنصبين لي شراكاً، وقالت إنك لا تساوين شيئاً... وقد ضايقني هذا لأنك لست كذلك، أعني أنك تقومين بأداء مهمة فقط. لقد أخبرتها أنني أحترمك وأن ما تقوله خطأ، وأظنني أبديت غضباً شديداً عندما تكلَمت عنك بتلك الطريقة.

- هذا عظيم جداً.

- ولكنها قالت إنها سترحل وتترك المنزل.

وظهرت على وجهه الحيرة فقالت له: لا تقلق، بل أخبرها أنك أنت الذي سيترك المدينة كلها ويرحل.

- ولكنني لا أريد الرحيل!

- أعلم هذا، وأنت لن ترحل، ولكن زوجتك ستترك فكرة إطلاق الحرية الكاملة لك لتتمتع كما تشاء.

* * *

في صباح اليوم التالي قال ريد لمادلين: لقد أخبرتني أنها حين فكرت رأت أنه ليس من العدل أن تسافر وقد وعدت بأن تبقى ستة أشهر، ولكنها أخبرتني أنها من حقها دعوة أصدقائها إلى المنزل كما أدعو صديقاتي، وقررت أن تدعو سنكلير جوردان.

- هل هو صديقها الذي تريد الطلاق من أجله؟

- نعم، ومن الأفضل أن أرفض وجوده في المنزل.

- بل عليك أن تقبل، وسوف أتولّى أنا أمره. أخبرها أنك لا تمانع دعوتها له. ولا تفقد أعصابك، فالأمور تمضي كما نريد تماماً، وخلال أسبوعين فقط ستنتهي كل متاعبك.

- هل تظنين هذا؟

- بل أنا متأكدة منه.

* * *

بعد مضيّ سبعة أيام كانت مادلين تجلس في مكتب السيد باين مرهَقة وهو يقول لها: مرحباً بملكة الفاتنات.

فقالت ضاحكة بجفاء: لم أعانِ طوال حياتي مثل هذه المشقة في عملي كفاتنة؛ السيد ويد يحب زوجته إلى درجة الجنون!

فقال باين مبتسماً: لا تنسَي أن هذا سهّل علينا المهمة

لأنني لم أكن لأعرّضه لفتنتك لو لم يكن مولَعاً بها.

فقالت بضحكة جذلة: آه لو عرفت كم واجهت من الصعوبة حتى أجعله يقبّلني ويتظاهر بأن القبلة أعجبته.

- هل نعتبر المهمة انتهت عند هذا الحد؟

- نعم، فقد حدثت مشادة حادة مساء أمس حين كان اللقاء بين الجميع في منزل السيد ويد، وبنظرة واحدة منّي إلى ذلك الغبي سنكلير جعلتُه يُهمِل السيدة ويد ويلهث خلفي، فجعلت أسخر منه ومن ملابسه وشعره الطويل وهيئته السخيفة، وكان هذا بالطبع أمامه وأمام السيد والسيدة ويد التي رأت رجلَيها يلهثان خلفي، فانفجرت بكل صراحة تتهمني بتدمير حياتها الزوجية. وهنا تحدث ريجي عن موضوع سنكلير فقالت إن ذلك كان نتيجة وحدتها وتعاستها لإحساسها بإهمال زوجها لها، وقالت إنهما كانا سعيدَين وإنها تحبه بشدة وإنه يعلم كل هذا.

والتقطت مادلين أنفاسها ثم عادت تستطرد: وهنا تحدثت أنا وأخبرتها أنه ليس أمامها مجال للتراجع، وقام السيد ويد بدوره ببراعة فقال إنه لم يعد يهتم بشيء سوى أن يتزوجني وإن زوجته يمكنها أن تفعل ما تشاء مع سنكلير، وإنه لم يعُد هناك سبب يجعلهما يتباطآن في إجراءات الطلاق وانتظار ستة أشهر، كما أخبرها أنه سيتصل سريعاً بالمحامي ليتم الإجراءات لأنه لا يستطيع البقاء بعيداً عني. وهنا وضعت يدها على قلبها وقالت إن قلبها ضعيف،

فأعطيناها جرعة من العصير لتنشيط قلبها، ولكن السيد ويد لم يتراجع، فقد ذهب في الصباح إلى المحامي، وأنا على يقين من أنها تسعى خلفه الآن بكل طاقتها.

فقال السيد باين بمرح شديد: إذن فالقضية على ما يُرام.

وهنا انفتح الباب بعنف وظهر ريجي ويد على بابه وهو يقول بانفعال: أين هي؟ هل هي هنا؟

ولم يكَد يلمح مادلين حتى اندفع نحوها وأمسك كفّيها قائلاً: مادلين، حبيبتي، لقد تأكّدت أن ما قلتُه أمس كان صحيحاً وكل كلمة قلتُها لإيريس كنت أقصدها تماماً، لقد أدركت الحقيقة في الأيام الثلاثة الأخيرة.

فقالت مبهوتة: وماذا أدركت؟!

- أدركت أني أحبك، أنني متيَّم بك. سأطلّق إيريس ثم أتزوجك، أخبريني أنك تقبلين الزواج بي.

قالها وضمّ مادلين بين ذراعَيه وهي ذاهلة لا تدري ماذا يحدث حولها، في نفس اللحظة التي اندفعت فيها السيدة ويد من الباب وهي في حالة يُرثى لها، ولم تكَد ترى مادلين حتى قالت: لقد كنت على يقين من أنكما ستتقابلان.

فقال السيد باين مغالباً دهشته: أؤكد لك يا سيدتي...

فقالت تقاطعه دون أن تهتم بما يقول: هل تريد تحطيم

قلبي يا ريجي؟! أرجوك، عُد إليّ! لن أتحدث عن الطلاق ثانية، سأتعلم الغولف وكل ما تريد ولن أعرف رجلاً غيرك، أرجوك! بحق كل الأيام الجميلة التي قضيناها معاً.

فقال لها: أنا لم أعرف يوماً جميلاً معك حتى الآن، وأنتِ كنت تريدين الزواج من ذلك الغبيّ سنكلير، فلتتزوجيه إذن.

- بل أكرهه، وأكره شكله وطباعه.

ثم نظرت نحو مادلين قائلة: لقد سرقتِ زوجي منّي أيتها القذرة الخبيثة!

فقالت مادلين وهي لا تزال على ذهولها: أنا لا أريد من زوجك شيئاً.

فقال ويد بجزع: لا، مادلين!

فقالت مادلين: سيد ويد، دعني وشأني أرجوك!

فنظر إليها وهو ينظر إلى الباب قائلاً: مادلين، أنا لن أيأس وسوف أعود.

ثم خرج وصفق الباب خلفه في حين قالت السيدة ويد لمادلين: أمثالك يجب جلدُهنّ بالسوط. لقد كان زوجي ملاكاً إلى أن عرفك.

ثم انطلقت خلف زوجها باكيةً، في حين تبادل باين ومادلين النظرات وقالت: لقد كان رجلاً طيّباً، ولكنني لا

أريد أن أتزوجه ولم أكن أظن أن الأمور يمكن أن تصل إلى هذه الدرجة! ليتك أدركت قدر الصعوبة التي كنت أواجهها لأقنعه بتقبيلي!

فقال السيد باين بلهجة آسفة: أظن أن الأمر كان سوء تقدير من ناحيتي.

ثم أخرج ملف السيد ويد من درج مكتبه وكتب فوقه: «فشل لأسباب طبيعية كان يجب التنبّؤ بها».

* * *

زوجة في منتصف العمر

ارتفع صوت السيد باكنغتون مهمهماً بكلمات ساخطة متسائلاً بحنق عن سبب عدم تركهم للقبعات في أماكنها، ثم خرج وهو يصفق الباب بشدة وراءه ليلحق بقطار الساعة التاسعة المتجه إلى المدينة. كانت زوجته جالسة إلى مائدة الفطور محتقنة الوجه بادية الحزن، وكل ما كان يمنعها من البكاء أن حزنها تحوّل في اللحظة الأخيرة إلى حالة من الغضب الشديد.

قالت في نفسها: لن يمكنني تحمّل هذا الوضع... تلك الخبيثة الدنيئة الوقحة! لم أكن أعلم أن جورج بهذا الغباء!

ثم ملأها الحزن مرة ثانية وامتلأت عيناها بالدموع حتى فاضت على خدّيها وهي تقول في نفسها: ماذا يمكنني أن أفعل؟ ماذا يمكنني أن أفعل؟!

كانت تشعر أنها وحيدة لا يمكنها أن تفعل أي شيء، فأمسكت الجريدة وأخذت تقرأ ذلك الإعلان في الصفحة الأولى والذي كان عن السيد باركر باين ومساعدته للتعساء ليحصلوا على السعادة. قالت: هراء، كل هذا هراء.

ثم سكتت هنيهة وقالت: ولكن يمكنني أن أجرب.

* * *

في الحادية عشرة من صباح نفس اليوم كانت السيد باكنغتون تدخل مكتب السِيد باين بتوتر واضح، ولكنها حين رأت السيد باين بهيئته المُطَمْئنة عادت إليها الثقة في نفسها. قال لها: تفضلي بالقعود. أظنك جئت بناء على إعلان الجريدة، أليس كذلك؟

- بلى.

فقال بودّ وبشاشة: هلِ معنى ذلك أنك غير سعيدة؟ قليلون هم السعداء في العالَم.

فقالت بلامبالاة: حقاً؟

- أعرف أن أمر غيرك لا يهمك، ولكنه يهمني. لقد اشتغلت خمسة وثلاثين عاماً في جمع الإحصاءات في إدارة حكومية، وفكرت في استخدام هذه الخبرة الطويلة في إسعاد الناس. يمكننا تقسيم التعاسة إلى خمسة أقسام فقط، وبمعرفة سبب كل نوع لا يكون العلاج مستحيلاً. أنا أعدّ نفسي طبيباً في مجالي، أي أنني أشخّص المرض ثم أحدد علاجه. بالطبع هناك حالات لا يصلح معها العلاج، وفي مثل تلك الحالات أقول بصراحة إنني لا يمكنني أن أقبل القضية.

فسألته بأمل: اصدقني القول يا سيد باين، هل ما تقوله

حقيقي أم أن الأمر كله مجرد هراء؟

فقال مبتسماً: هل تحبين البدء بتشخيص حالتك؟ من حديثك فهمت أن المسألة متعلقة بزوجك. كنت سعيدة وزوجك أصبح غنياً، وفي الغالب هناك فتاة في الأمر، ومن المرجَّح أنها تعمل في مكتب زوجك.

فقالت بانفعال: إنها عاملة على الآلة الكاتبة، وهي خليعة سيئة الأخلاق. لقد كنت أحب النزهات النهرية ولكنه كان يتعلل بتعارضها مع لعبه الغولف، وهو الآن يضحّي بلعبة الغولف من أجر خاطر تلك الحقيرة! وأنا أحب المسرح، وكان دائماً ما يتعلل بإجهاده وعدم قدته على السهر، ولكنه يخرج ويسهر معها ولا يعود قبل الثالثة صباحاً. تصور أنه يرقص!

- ومن الطبيعي جداً أن ينتقد غيرتك عليه ويصفها بأنها لا داعي لها.

- بالضبط! كيف عرفت؟!

فأجاب ببساطة: من الإحصائيات.

- سيد باين، أنا امرأة تعيسة بالرغم من أنني بقيت زوجة صالحة له، وكدحت في العمل من أجله في بداية حياتنا الزوجية ولم أفكّر في رجل سواه طوال حياتي. كنت أصلح ثيابه وأطهو طعامه وأقتصد في المنزل، ولكن بعد أن تحسّن مستوانا الاقتصادي صار يفعل ما يفعل!

فقال السيد باين باهتمام وقد لاحظ شدة الحزن واليأس على وجهها: أنا أفهم مشكلتك تماماً يا سيدتي.

فقالت بهمس آمِل: وهل هناك حل؟

- بالتأكيد يا سيدتي، هناك علاج حتماً.

فقالت بلهفة: وما هذا العلاج؟

- عليك أن تتركي لي نفسك تماماً. سيكلفك الأمر مئتَي جنيه.

- مئتَي جنيه؟!

- أجل، مثل هذا المبلغ يُدفع عن طيب خاطر عند إجراء عملية جراحية، والسعادة لا تقل أهمية عن الصحة.

- فليكُن، سأدفعها بعد انتهاء الأمر.

- بل ستدفعينها مقدّماً.

فقالت ناهضة من مقعدها: لست أدري إن كنت أستطيع أن...

فقاطعها قائلاً: أن تقامري، أليس كذلك؟ من الممكن أن تكوني مصيبة في هذا، ولكن أؤكد لك أن عليك أن تثقي بي تماماً وتجرّبي العمل معي. هذه شروطي. أرجو أن تتصلي بي إذا قبلتِ بذلك.

ثم صافحها بابتسامة عريضة ورافقها حتى الباب، ولم

تكَد تخرج حتى استدعى سكرتيرته وقال لها: من فضلك، أحضري ملفاً جديداً يا آنسة ليمون، وأرجو أن تخبري كلود أنني ربما أحتاجه قريباً.

- هل هي عملية جديدة؟

- نعم. وصاحبتها ما زالت مترددة، ولكنها ستعود في الغالب، ربما بعد الظهر أو في نحو الرابعة، وعندما تعود أدخليها إليّ مباشرة.

- هل هي الخطة «أ»؟

- بالطبع. من الغريب أن يظن كل شخص أنه حالة فريدة! آه، أرجو أن تخبري كلود أن يكون حذراً وألاّ يتعطر وأن يقص شعره، ولا أريد مبالغة في التصرفات.

* * *

في الرابعة والربع كانت السيدة باكنغتون تدخل مكتب السيد باين وتخرج دفتر شيكاتها وتحرر شيكاً بمبلغ مئتَي جنيه وتقول بعد أن أخذت إيصالاً بالمبلغ: ماذا سنفعل الآن؟

- كل ما عليك أن تذهبي إلى منزلك، وفي الغد ستصلك رسالة بريدية فيها بعض التعليمات التي عليك تنفيذها.

عادت السيد باكنغتون إلى منزلها مترقّبة رسالة الغد، في

حين عاد زوجها السيد باكنغتون مستعدّاً للدفاع عن نفسه إذا أعادت زوجته مناقشة الصباح. ولكن زوجته أبدت عدم رغبتها في النقاش مما جعله يشعر بالراحة، كما أدهشه أنها كانت بادية الانشغال الذهني على غير عادتها.

جلس يستمع إلى المذياع وهو يفكّر فيما إذا كانت حبيبته نانسي ستسمح له بأن يشتري لها معطف الفراء. كان يراها شديدة الكبرياء، وهو لم يكن يريد أن يجرح كبرياءها، ولكنها كانت مصابة بالبرد ومعطفها كان رخيصاً لا يقيها من البرد بشكل كاف، ولهذا كان يفكّر في طريقة تجعلها تقبل المعطف دون جرح كبريائها. كان يستمتع بشدة حين يصطحبها إلى أحد المطاعم، وكان الشباب يحسدونه على جمالها الأخّاذ، كما أنها كانت شديدة الإعجاب به ولم تكن تراه كبيراً في السن بالنسبة لها.

نظر إلى زوجته فوجدها تنظر إليه، فشعر بضميره يؤنبه نحوها. كان يراها ضيقة الأفق كثيرة الظن به، وكان يرى أنها تبخل عليه بالقليل من السعادة.

* * *

في الصباح كان هناك ثلاثة خطابات تنتظر السيدة باكنغتون، أحدهما فيه ورقة كُتب عليها موعد في أحد صالونات التجميل الشهيرة، والثاني كان فيه موعد في أحد أرقى بيوت الأزياء، والثالث كان من السيد باركر باين يدعوها فيه إلى الغداء في مطعم الريتز في نفس اليوم.

أخبرها زوجها أنه سيتناول العشاء خارج المنزل بسبب ارتباطاته العملية، وحين وجدها تهزّ رأسها دون مبالاة خرج من المنزل سعيداً لأنه لم يواجه ما يواجهه كل يوم منها.

عندما ذهبت إلى صالون التجميل عاتبها الأخصائي هناك بشدة بسبب إهمالها في زينة نفسها طوال تلك المدة، ولكنه قال لها: لا تقلقي؛ فما زالت الفرصة قائمة أمامك.

ثم بدأ في عمله ووضع على وجهها بعضاً من موادّ الزينة والمساحيق، وفي النهاية أعطاها مرآة وقال لها: حسناً، انظري إلى وجهك.

وحين نظرت إلى وجهها رأت نفسها تبدو أصغر كثيراً عن ذي قبل مما أثار دهشتها وعدّل فكرتها عن نفسها.

وفي بيت الأزياء قامت السيدة باكنغتون بزيارة مثيرة خرجت بعدها وهي في غاية الأناقة، ثم اتجهت إلى مطعم الريتز الذي كان السيد باين قد دعاها للقائه فيه، وكان السيد باين يرتدي زياً أنيقاً موحياً بالاطمئنان. تفحّصها بعينَيه لحظة ثم قال: هكذا تكون الفتنة. حسناً، علينا أن نثير اهتمام زوجك ولهذا فسوف أعرّفك بشاب من أصدقائي، وسوف تتناولين غداءك اليوم معه.

ولم يكَد يتم قوله حتى تقدم منهما شاب رشيق ألقى عليهما التحية، فقال السيد باين: هذا هو السيد كلود لوتريل، وهذه هي السيدة باكنغتون.

كان كلود أصغر قليلاً من الثلاثين، وكان رشيقاً جذاباً أنيقاً وسيماً. قال لوتريل: تسعدني معرفتك يا سيدتي الجميلة.

ولم تكَد تمضي دقائق حتى كانت السيدة باكنغتون تجلس مع لوتريل إلى مائدة صغيرة تمّ إعدادها لشخصين فقط. كانت خَجِلة في البداية ولكن مهارة لوتريل في الحديث جعلت ثقتها بنفسها تعود إليها. كان كلود لوتريل يعرف باريس معرفة تامة وكان قد أمضى وقتاً طويلاً في الريفيرا، وسألها إن كانت تحب السهرات فقالت إنها تحبها لكن زوجها لا يحب السهر.

- يا له من قاس! كيف يتركك في المنزل؟ أنا أعلم أن النساء لا يصبرن على غيرة الأزواج في هذا الوقت.

كادت تخبره أن ما يفعله زوجها لا علاقة له بالغيرة، ولكنّها فضّلت أن تبقى صامتة وتُبقي تلك الفكرة السيئة في نفسها. ثم بدأ كلود يحدّثها عن الأندية الليلية، فاتفقا على اللقاء في مساء اليوم التالي في أحد تلك الأندية واسمه «الملاك الصغير».

* * *

كانت السهرة في مساء اليوم التالي رائعة. كانت السيدة باكنغتون ترقص ببراعة في صغرها، وكان سهلاً عليها أن تتعلم الرقصات الحديثة بتوجيهات كلود الذي كان خبيراً

في الرقص. أبدى إعجابه بطريقة تصفيف شعرها وبجمال ثوبها. ولم تكن قد استمتعت بسهرة كتلك السهرة منذ سنوات طويلة.

وخلال أيام عشرة كانا يتقابلان ويقضيان الوقت في تناول الطعام والسهرات والحديث الجميل. أخبرها بقصة طفولته الحزينة حيث فقد أبوه ثروته في ظروف سيئة، ثم قصّ عليها قصة حبه الذي فشل فشلاً ذريعاً وجعله يشعر باليأس نحو النساء. وفي الليلة التالية كان يراقصها في ناد ليليّ اسمه «الأميرال الأحمر»، وهناك رأت السيدة باكنغتون زوجها مع تلك الفتاة التي كانت تعمل معه في مكتبه وكانا يرقصان أيضاً، وحين أبصرَتهما السيدة باكنغتون قالت بلهجة استخفاف: مرحباً يا عزيزي جورج.

ولم يكَد جورج يراها حتى احمرّ وجهه وبدت عليه الدهشة، في حين كانت هي تشعر بالقوة وبأنها تسيطر على الموقف. ثم عادت إلى مائدتها وهي تشعر أنه أصبح مسكيناً بعد أن ازداد بدانة وفارقته الرشاقة والخفة في الرقص، وكان يبدو شديد اللهفة لاستعادة شبابه في حين كانت تلك الفتاة ترقص معه مجبَرة، وكانت مجبَرة أيضاً على التظاهر بأنها معجَبة به، وكان مللها وضيقها باديَين على وجهها الذي تسنده على كتفه حتى لا يرى تعبير الملل عليه.

أما السيدة باكنغتون فكانت في وضع مختلف تماماً عنه مما جعلها تشعر بالرضا التام، وكانت تنظر من طرف خفيّ

إلى كلود فتشعر أنه يتفهّم الموقف تماماً ويفهم مشاعرها. ثم التقت أعينهما فبدا في عينيه الجميلتين معاني الحزن والرقة والرومانسية. قال لها: أيمكن أن نرقص مرة ثانية؟

- بالطبع.

وقاما ورقصا، وشعرت أنها تطير في السماء وهي تشعر بنظرات زوجها تتابعهما، وبالطبع كان الأساس في الخطة إثارة غيرة زوجها، وكانت هي في البداية تعتمد على هذا ولكنها أصبحت لا تهتم به. ربما تسبب له هذا في الضيق، ولكن ما السبب؟ لماذا يتضايق؟ المفترَض أن الجميع سعداء؛ فكلّ واحد يفعل ما يريده.

* * *

عادت إلى منزلها بعد عودة زوجها بساعة كاملة، فقال لها: أخيراً عدتِ؟

فقالت وهي تنزع معطفها: نعم، عدت.

فقال وهو يتنحنح: لقد كان غريباً أن نتقابل.

- حقاً؟

- لقد أشفقت على تلك الفتاة فاصطحبتها إلى ذلك المكان. كانت تمرّ بظروف قاسية فاصطحبتها من باب الشفقة.

فأومأت برأسها موافقة دون اكتراث. كانت تراه مسكيناً

بالفعل، وتذكّرته وهو يتراقص ويتواثب في صالة الرقص رغم بدانته. سألها: من ذلك الشاب الذي كان رفيقك؟ أظنني لا أعرفه.

- اسمه كلود لوتريل.

- أين وكيف عرفته؟

قالت بغموض واضح: لقد عرّفني به بعض الأصدقاء.

فقال بعصبية: من العجيب أن ترقص امرأة في سنّك. أرجو ألاّ تجعلي من نفسك أضحوكة للناس.

فقالت وقد أحسّت بالرضا والانتصار: هوّن عليك يا عزيزي، هذا فقط قليل من التغيير.

- ولكن كوني حذرة؛ هناك شباب كالثعالب يبحثون في صالات الرقص في الفنادق والملاهي والأندية، والنساء في مثل سنّك يرتكبن الكثير من الحماقات، وأنا لا أحب أن أراك تفعلين شيئاً لا يليق بك.

- ولكن الرقص رياضة مفيدة جداً.

- أعلم هذا، ولكن...

- وأنت أيضاً تجده كذلك.

ثم أكملت بصوت هامس حنون: المهم أن يكون كلانا سعيداً، أليس كذلك؟ أنت قلتَ لي هذا الكلام منذ نحو

عشرة أيام على مائدة الإفطار.

نظر إليها غاضباً ولكنه لم يجد على ملامحها أي سخرية، ثم قالت وهي تتثاءب: يجب أن أنام الآن.

ولكنها قبل أن تصعد التفتت إليه قائلة: بالمناسبة، ستأتي بعض الفواتير تباعاً في الأيام القادمة.

- أية فواتير؟

- لقد أسرفت في الأيام الماضية. التجميل والتدليك وتصفيف الشعر... هذا لا يضايقك بالطبع.

ثم تركته واتجهت إلى غرفتها في حين بقي هو مشدوهاً. زوجته لم تُحدث أية مشاجرات أو مشاحنات خاصة بما حدث في تلك الليلة، ولكنها أصبحت مسرفة بعد أن كانت مثالاً للتدبير والاقتصاد. وتذكّر بعض المشكلات التي كان السبب فيها إخوة الفتاة التي كان يرافقها، وسرّه أنه استطاع المساعدة في فضّها. ثم تنهّد وصعد إلى غرفته.

* * *

صباح اليوم التالي بدأت كلمات السيد باكنغتون تُحدِث أثرها في السيدة باكنغتون. تذكرت ما قاله عن الشبان الثعالب والنساء في مثل سنها وتصرفاتهن الحمقاء، وكانت السيدة باكنغتون من الشجاعة بحيث واجهت نفسها بصدق، فتساءلت إن كان كلود من ذلك النوع من الرجال الذين

يعيشون عالة على النساء، وكانت تعلم أن الكثيرات من النساء لهنّ حماقات عديدة في مثل هذه السن. ولكن كلود كان هو الذي ينفق عليها ولا يتركها تنفق عليه، ولكن السيد باركر باين كان هو الذي يدفع له وهي كانت قد دفعت للسيد باركر باين مئتَي جنيه. تساءلت في نفسها إن كانت بالفعل حمقاء وكلود يستغلها ويسخر منها، وشعرت بالخجل عندما جالت بخاطرها تلك الفكرة، ولكنها مع ذلك قالت في نفسها: ولماذا لا يكون كلود هكذا؟ فليكُن، ولأكن أنا حمقاء في منتصف عمرها. عليّ إذن أن أشتري له هدية.

وأحسّت إحساساً عجيباً جعلها تذهب إلى أحد محالّ الهدايا وتشتري علبة سجائر ذهبية ثم تذهب لمقابلة كلود على الغداء، وفي أثناء احتسائهما القهوة بعد الغداء أخرجت العلبة من حقيبتها وقدّمتها له قائلة: هذه هدية صغيرة لك.

فبدا على وجهه العبوس وهو يقول: لي!

- أجل يا عزيزي، وأتمنّى أن تنال استحسانك.

فردّها إليها بعنف قائلاً: لماذا اشتريتِ لي شيئاً كهذا؟ لن أقبل هذا أبداً، خذيها.

فأسرعت تعيد العلبة في حقيبتها وهي تقول: آسفة، آسفة جداً.

وسادت بينهما حالة من التوتر الشديد طوال اليوم حتى افترقا.

في اليوم التالي اتصل بها هاتفياً وطلب منها أن يقابلها في منزلها في وقت العصر، فطلبت منه أن يذهب إلى هناك في الثالثة عصراً. وفي الموعد المحدد كان يدلف إلى المنزل وحالة التوتر لا تزال سائدة بينهما أكثر من ذي قبل. فجأة وقف من مكانه قائلاً بحدة: من تظنينني؟ لقد كنّا أصدقاء في البداية، أعلم هذا، ولكنني أعلم أنك تحسبينني أريد العيش عالة عليك، أليس كذلك؟

- مطلقاً... أنا لم أظن هذا مطلقاً!

ولكنه أكمل كأنما لم يسمعها: أنت تظنين هذا فيّ، حسناً، إنها الحقيقة، وقد أتيت إلى هنا لأخبرك بها. لقد أُمرت بأن أصحبك في كل مكان لأسليك وأساعدك على نسيان زوجك... هذا هو عملي، وهو عمل حقير كما ترين.

- لماذا تخبرني بهذا؟

فصرخ قائلاً: لأنني سئمت كل هذا ولأنني لا أستطيع الاستمرار فيما أنا فيه، لا أستطيع أن أبقى هكذا معك أنت. أنت غيرهنّ، نوع آخَر آمنتُ به ووثقت به وأحببته.

ثم اقترب منها وقال: وسوف أؤكد لك كلامي هذا حتى لا تظني أنه مجرد جزء من عملي. سأرحل... بسببك سأرحل، من أجلك سأجعل من نفسي رجلاً حقيقياً بدلاً من ذلك الإنسان الكريه. وداعاً! لقد كنت فاسداً طوال

حياتي، ولكن حياتي كلها اختلفت الآن. لقد أخبرتِني يوماً أنك تقرئين إعلانات عمود الآلام في الجريدة، وفي مثل هذا اليوم من كل عام سأكتب لك فيه رسالة أخبرك فيها بأنني بخير وأنني أحيا على ذكراك. وهناك شيء آخر، أنا لم أخذ منك شيئاً، ولكن هل من الممكن أن أعطيك شيئاً؟

ثم قرن قوله بأن خلع من إصبعه خاتماً ذهبياً بسيط الشكل وضعه في إصبعها وهو يقول: كان هذا الخاتم لأمي، وأتمنّى أن يبقى في إصبعك. وداعاً.

ثم تركها وخرج وهي في ذهول تام تنظر إلى الخاتم في إصبعها.

* * *

عاد السيد جورج باكنغتون في المساء دون تأخّر ليجد زوجته ساهمة تنظر إلى نار المدفأة، فحيّاها فردّت عليه بهدوء وشرود، ولكنه اندفع فجأة قائلاً: ماريا، تلك الفتاة...

وسكت فجأة فقالت بهدوء: ماذا عنها؟

- أنت تعلمين بالطبع أنني لم أكن أقصد أن أضايقك وأنه لم يكن بيني وبينها شيء مريب.

- أجل، أعلم ذلك، وأعلم أنني كنت غبية في تعاملي معك في الفترة الأخيرة. فلتقابلها كما تشاء إن كان هذا يسعدك.

وعلى غير المتوقع بدا السيد باكنغتون متضايقاً لما قالته زوجته؛ فليس من الممكن أن يستمتع الرجل بصحبة فتاة طلبت منه زوجته أن يصحبها. وكان قد شعر بأنه كالذئب في الفترة السابقة، ولكنه فجأة أحس أنه خاوٍ مرهَق، واكتشف أن الفتاة كانت بالفعل خليعة جداً.

نظر إلى زوجته بشيء من الخجل وقال: هل يمكن أن نسافر معاً إلى أي مكان في العالم؟

فقالت بلا اكتراث: لا تشغل بالك بأمري. أنا سعيدة.

- ولكنني أريدك معي. فلنذهب إلى الريفيرا.

فابتسمت ابتسامة هادئة وهي تنظر إلى زوجها، ذلك المسكين الذي كانت مولَعة به. لم يكن في حياته سر يخفيه ويسبب سعادته مثلها، ولهذا قالت بحنان عطوف: بالطبع يا عزيزي، سأكون سعيدة جداً إذا سافرنا معاً.

* * *

سأل السيد باين سكرتيرته الآنسة ليمون قائلاً: كم بلغ حساب الترفيه؟

- بلغ مئة جنيه وأربعة عشر شلناً.

وهنا انفتح الباب ليدخل كلود لوتريل بادي الشرود، فقال له السيد باين: مرحباً يا كلود. هل مضت الأمور بشكل مرضٍ؟

- نعم، أظن ذلك.

- وأي اسم حفرت على الخاتم؟

فقال بحزن: «ماتيلدا ١٨٩٩».

- حسناً، وماذا عن الإعلان؟

- نَصّه «أنا بخير حال، ما زلت أذكرك. كلود».

فالتفت السيد باين إلى السكرتيرة وقال: اكتبي صيغة الإعلان وانشريه في عمود الآلام في الثالث من نوفمبر لمدة عشر سنوات، وبهذا يكون ربحنا الصافي تسعين جنيها وشلنين. لا بأس بهذا الربح.

* * *

الجريمة والعقاب

-١-

هبطت السيدة الأنيقة من السيارة ونقدت السائق أجره، ثم سارت بضع خطوات لتصل إلى البيت الذي تقصده. كانت تمشي ببطء مشية المرأة التي تشعر بجاذبيتها وتودّ أن يرى الجميع كم هي أنيقة وجميلة.

كانت في نحو الثلاثين من عمرها، طويلة القامة نحيلة الخصر، لها وجه مشرق وعينان زرقاوان يتألق فيهما بريق الذكاء والحيوية. وكان البيت الذي دخلته حديث البناء، ولكن مصعده كان معطلاً فارتقت الدرج ببطء، ووقفت أمام الباب في الطابق الخامس وضغطت زر الجرس وانتظرت. ولما لم يُفتح الباب ضغطت الزر مرة أخرى بمزيد من الإلحاح وانتظرت، ولكن الباب لم يُفتح ولم يصدر من داخل الشقة أي صوت يُشعر بوجود أحد فيها.

هزّت السيدة الفاتنة رأسها بمزيج من الدهشة والضجر، ثم دقت الباب بقبضة يدها وصاحت: ألا يوجد أحد هنا؟

ثم أصاخت السمع، ولكن لا حركة ولا جواب. واستدارت لتعود من حيث أتت، ثم ترددت وعادت إلى الباب ودفعته بيدها ففُتح. وقفت بعتبة الباب وصاحت:

باتريشيا، مايكل، أين أنتما؟

ولكنها لم تسمع جواباً فدخلت وأغلقت الباب.

كانت شقة صغيرة من الطراز الحديث، تتألف من صالة فسيحة في صدرها نافذة عريضة تبدو منها أسطح البيوت المجاورة، وإلى يسارها باب يؤدي إلى مطبخ صغير وإلى يمينها باب يؤدي إلى الشرفة، وبابان آخران يؤديان إلى غرفة النوم والحمام.

طافت السيدة بأرجاء المكان، وأدهشها أنها لم تجد أحداً فخلعت قفازيها ووضعتهما في حقيبتها ووضعت الحقيبة على مقعد في الصالة، وخلعت شملة الفرو التي كانت تلف بها عنقها ووضعتها على مسند المقعد، ومدت يدها إلى صندوق سجائر مصنوع من الخشب ومرصع بالصدف كان فوق المائدة ففتحته، ولكنها وجدته فارغاً فأخرجت علبة السجائر من حقيبتها وتناولت لفافة أشعلتها بولاعة ذهبية، وراحت تدخن وتختال ببطء في الصالة، ثم وقفت أمام عصفور في قفص في أحد الأركان وراحت تتأمله في فضول.

وبعد قليل نظرت في ساعتها وهزت رأسها في عجب وتمتمت قائلة: هذا عجيب! أي تصرف هذا؟

وعندما همت بالانصراف سمعت حركة في الخارج، كما لو كان هناك من يعبث بقفل الباب، ثم سمعت صوتاً

يهتف في دهشة: عجباً، إنه مفتوح!

ودخلت سيدة في العقد الثالث من العمر وبيدها المفتاح الذي كانت تعبث به في القفل، وما إن وقع بصرها على المرأة الأنيقة حتى صاحت: ساندرا، أنت هنا؟

وصاحت ساندرا: جنيفر! لم أرك منذ دهر.

- ماذا جاء بك يا ساندرا؟

- لقد بكرت بالحضور مثلك. إنه لمحرج حقاً أن يذهب الإنسان إلى حفل قبل موعده المحدد.

- عن أي حفل تتكلمين يا ساندرا؟ حفل من؟

- إنه ليس حفلاً بالمعنى المفهوم، إنها مجرد سهرة.

فبدت الدهشة على وجه جنيفر وسألت: هل دُعيت إلى سهرة هنا اليوم؟

- ولم لا؟ لقد دُعيتُ مثلما دُعيتِ أنت.

فقالت جنيفر وهي تشيح بوجهها: ليس تماماً.

- ماذا تعنين؟ هل ثمة ما يمنع باتريشيا تورانس وزوجها من دعوتي؟

- لا، لا مانع إطلاقاً... إذا كانا في إنجلترا.

- هل تعنين أنهما ليسا في إنجلترا؟

فأومأت جنيفر برأسها علامة الإيجاب وقالت وهي تضع حقيبتها على المائدة وتجلس على أحد المقاعد: إنهما في فرنسا.

ففتحت ساندرا عينيها الساحرتين في دهشة وهتفت قائلة: ولكن باتريشيا اتصلت بي تليفونياً يوم الثلاثاء، أمس الأول.

فقالت جنيفر ساخرة: أحقاً؟

- نعم.

- لا يا عزيزتي! كان يحسن بك أن تقولي كلاماً معقولاً، إن الكذب لا يقف على قدميه طويلاً.

- ماذا تعنين؟

فقالت جنيفر وهي تبتسم بخبث: أكبر الظن أنك أقنعت باتريشيا بأن تعيرك مفتاح الشقة وأنك ما جئت إلى هنا الآن إلا لمقابلة أحد الأشخاص، فمن هو؟ هل ستذكرين لي اسمه أم يجب أن أخمنه؟

- ما هذا الهذيان يا جنيفر؟ لقد قلت لك إن باتريشيا اتصلت بي تليفونياً ودعتني للحضور.

فقالت جنيفر وهي تتناول حقيبتها: لا، لا يا عزيزتي؛ دعك من هذا الكلام وفكّري في مبرر آخر أقرب إلى العقل والمنطق.

ثم أرسلت بصرها نحو قفص العصفور واستطردت قائلة: قولي مثلاً إنها طلبت إليك أن تُطعمي العصفور وتعتني به في غيابها.

- الواقع أنها حدثتني عن العصفور.

فقالت جنيفر ضاحكة: ولكنها اتفقت معي أن أطعمه وأرعاه.

ثم أخرجت من حقيبتها كيساً صغيراً من الورق وقالت: لا بد أن ذاكرة باتريشيا قد أصابها الوهن لكي تكلفنا معاً بالشيء نفسه.

فقالت ساندرا وهي تتناول حقيبتها وكوفيتها: الحق يا جنيفر أنك...

- لا تغضبي، فما أردت إلا معابثتك. الحق أنني سعيدة بلقائك بعد هذا الوقت الطويل. ولكن اصدقيني، مَن هو الشخص السعيد الذي جئت لمقابلته؟ واطمئني فإنني أعرف كيف أكتم السر.

فقالت ساندرا: فعلاً أنك لا تطاقين يا جنيفر.

- لا تفقدي أعصابك يا جميلتي. إن ما يدهشني حقاً هو أن تُقدِّم لك باتريشيا هذه الخدمة وتترك لك شقتها. إن ما أعرفه عنها أنها لا تجامل أحداً، وأكبر الظن أنها استوردت هذه الصفة من الخارج، فهي كثيرة الأسفار كما تعلمين، وقد أقامت فترة طويلة في مناطق نائية في المستعمرات.

قالت ذلك وجثت على الأرض بجوار ساندرا، ثم استطردت قائلة بلهجة فيها الخبث أكثر مما فيها من الدعابة: تكلمي يا جميلتي واخبريني، من هو الطرف الثاني في مغامرتك الجديدة؟

- أؤكد لك أنه ليست لي أية مغامرة مع أي إنسان.

- إذن ماذا جاء بك إلى شقة آل تورانس بينما هم في فرنسا؟ أتعتقدين أنني من الغفلة بحيث أصدق مزاعمك عن هذه السهرة؟

- لا بد أنني لم أسمع جيداً أو أن تكون الخطوط التليفونية قد تشابكت، فهذا أمر كثير الحدوث. ومن المحتمل أن تكون باتريشيا قد أخطأت وأن يكون موعد السّهرة في الأسبوع القادم، ولكني أؤكد لك -مرة أخرى- أنني جئت وأنا أتوقع أن أجد حفلاً وأصدقاء وصديقات.

- أحقاً أنك لا تنتظرين مقابلة أحد هنا؟

فاستدارت ساندرا لتواجه صديقها وقالت: الشخص الوحيد الذي أنتظر لقاءه هنا هو جون.

- زوجك؟

- نعم، فقد قال إنه سيلحق بي إلى هنا بمجرد فراغه من عمله.

- إنه إنسان مهذب ولطيف، أليس كذلك؟

- ذلك ما أعتقده.

- ثم إنه هادئ وديع لا يسئ الظنّ بأحد، وأهم من ذلك كله أنه يحبك حباً بالغاً، أليس كذلك؟

فأجابت ساندرا بإيجاز: إنه لا يكرهني.

- يا للتواضع! وهل بين الرجال من يكرهك؟

فقالت ساندرا لتغيير موضوع الحديث: أليس من الأفضل أن تعجلي بإطعام العصفور إذا كان ذلك ما جئت من أجله حقاً؟

فقالت جنيفر وهي تنهض: ساندرا، هل تريدين أن تقولي إن إطعام العصفور ليس الغرض الحقيقي من قدومي وإنني قد جئت لمقابلة شخص ما؟

- لا، طبعاً، إن ذلك لم يخطر لي ببال.

* * *

كان في صدر الصالة صندوق خشبي كبير فجلست جنيفر عليه وفتحت باب قفص العصفور، وتناولت طبقاً صغيراً كان بداخله فأفرغت فيه محتويات كيس الورق، ثم أعادته إلى مكانه في القفص.

قالت بطريقتها الخبيثة: أنا لا أفهم سر هذه الرحلات التي تقوم بها باتريشيا وزوجها بين آن وآخر. إنهما يعودان دائماً بعدد كبير من التحف والتذكارات الغربية. وصدقيني،

لقد سرقتُ مرة منفضة سجائر من فندق كارلتون بمدينة كان الفرنسية، ولم أغفر ذلك لنفسي قَطّ. ولكن لماذا أحضرا عصفوراً واحداً ولم يحضرا عصفورين؟ انظري إلى الطائر المسكين، إنه ينظر حوله في حزن باحثاً عن رفيق. يا إلهي! لقد شرب آخر نقطة من الماء.

وفتحت باب القفص وأخرجت صحن الماء وانطلقت به إلى المطبخ، أما ساندرا فقد أشعلت لفافة تبغ وسارت إلى الشرفة ببطء وراحت تطل منها. وملأت جنيفر الصحن بالماء ووضعته في القفص، وحانت منها التفاتة فرأت ساندرا في الشرفة فصاحت بها: ماذا تفعلين أيتها العزيزة؟ هل تتوقعين عودة باتريشيا وزوجها؟ قلت لك إنهما في فرنسا.

ثم تنهّدت وأردفت: ها أنذا قد فرغت من مهمة هذا اليوم، وسأذهب الآن. إلى اللقاء يا ساندرا.

فعادت ساندرا من الشرفة وقالت وهي تتناول حقيبتها: لا فائدة من بقائي هنا، سأذهب معك.

- وزوجك؟ سوف يأتي.

وفي تلك اللحظة رنّ جرس الباب الخارجي، فصاحت جنيفر: ها هو قد جاء.

وهرولت إلى الباب وفتحته لتجد نفسها وجهاً لوجه أمام رجل في نحو الثامنة والثلاثين من عمره، أنيق الثياب أرستقراطي المظهر سمح الوجه له عينان مرحتان. قال وهو

يخلع قبعته: طاب يومك يا سيدتي.

ولمحته ساندرا وسمعت صوته فبدت عليها الدهشة. ورآها الرجل بدوره فهتف: مرحباً ساندرا.

ووقفت جنيفر ترقبهما وفي عينيها نظرة خبيثة، فقالت ساندرا تحدثها: دعيني أقدّم لك فورستر، ديفيد فورستر.

والتفتت إلى ديفيد قائلة: هذه السيدة برايس، جنيفر برايس.

فشد ديفيد على يد جنيفر، وقالت ساندرا بسرعة: يبدو أنك قد أخطأت اليوم مثلي يا ديفيد؛ فقد قالت لي جنيفر منذ لحظة إن باتريشيا وزوجها قد سافرا إلى فرنسا.

فقال ديفيد وهو ينظر إلى جنيفر ويبتسم: أحقاً؟ معنى هذا أننا قد خُدعنا نحن الثلاثة.

فقالت جنيفر وهي تشير إلى القفص: أنا جئت لكي أطعم العصفور فقط.

نظر ديفيد إلى القفص والعصفور وقال: ما أجمله!

قالت جنيفر بسرعة: يجب أن أذهب الآن. لقد أسعدني لقاؤك يا سيد فورستر، إلى اللقاء يا ساندرا.

وانصرفت وأغلقت الباب وراءها، فقال ديفيد وهو يضع قبعته على أحد المقاعد: مَن هي بالله؟

- إنها جنيفر برايس.

- هل هي صديقتك؟

فهزت كتفها وأجابت: لا أستطيع أن أقول ذلك.

- ماذا كانت تفعل هنا؟

- ألم تسمع ما قالت؟ لقد جاءت لتطعم العصفور، وأنت ماذا جئت تفعل هنا؟

- جئت لكي أراك أيتها الحبيبة.

- لكي تراني؟!

فقال وهو يجيل البصر حوله: بهذه المناسبة، شقة مَن هذه؟

- شقة مايكل وباتريشيا تورانس.

- آه، إنها شقة جميلة.

ثم قال: لقد انقضى دهر منذ التقينا آخر مرة.

فقالت: كان آخر لقاء منذ أسبوع.

- نعم، منذ أسبوع... أطول أسبوع في حياتي.

- ليتنا نستطيع اللقاء علناً.

- سيحدث ذلك قريباً، فاطمئنّي.

- لقد سئمت التخطيط والتدبير واللقاءات السرية الخاطفة.

- كل ذلك سيتغير قريباً.

ثم تركها فجأة وقال وعلى وجهه دلائل الهم والقلق: هل رأيتِ عينَي المرأة التي كانت هنا منذ لحظة؟ لقد كان فيهما نظرة ارتياب واضحة. ترى ماذا ظنت بنا؟

- لا أعلم، ولكنها امرأة سوء.

- هل تعتقدين أنها ستتكلم عنا أو تشي بنا؟ يا لسوء الحظ! لقد كنا في شدة اليقظة والحذر حتى الآن.

- لقد قلت لها إنني أنتظر قدوم زوجي.

- وهل صدّقتكِ؟

- كان من الممكن أن تصدّقني لولا حضورك.

- يا لسوء الحظ!

ثم راح يذرع أرض المكان في قلق ويداه خلف ظهره، وأخيراً قال: ولكنك أحسنت صنعاً إذ تظاهرت بالدهشة حين وقع بصرك عليّ.

- لقد دُهشت فعلاً.

- كيف ذلك وأنت التي طلبت مني أن أحضر؟

فدُهشت وقالت: أنا لم أطلب منك الحضور.

- لكنني تلقيت مكالمة تليفونية!

- مكالمة تليفونية؟! ما فحواها؟

- قال المتكلم: هل لك أن تتفضل بمقابلة السيدة ساندرا جراي في الساعة السادسة والنصف بالمنزل رقم ٥١٣ بشارع ألبيري؟ أليس هذا شارع ألبيري؟

- بلى، طبعاً.

- إذن؟

فجمدت ساندرا في مكانها، وشرد بصرها لحظة ثم قالت فجأة: إن في الأمر شيئاً مريباً وغريباً يا ديفيد؛ فقد اتصلت بي باتريشيا تورانس ودعتني للحضور لقضاء السهرة وتناول الشراب.

- لنبدأ من البداية، مَن هي باتريشيا أولاً؟

- إنها زوجة مايكل تورانس الذي يعمل في منظمة اليونسكو، وقد عادا من أفريقيا والشرق الأوسط مؤخراً.

فقال ديفيد وهو ينظر إلى قِطع الأثاث والتحف: هذا واضح. حسناً، اتصلت باتريشيا ودعتك للحضور لقضاء السهرة وتناول الشراب فلبيت الدعوة وحضرتِ، ولكن يبدو أنك قد أخطأت اليوم لأنني لا أرى أي استعداد لإقامة حفل.

ثم خطر له خاطر فجائي فقال: ولكن كيف دخلت؟

- دققت الجرس، ثم دفعت الباب ففُتح، والظّاهر أنه

لم يكن مغلقاً جيداً.

- هذا غريب حقاً.

- غريب جداً، وأغرب منه أن باتريشيا وزوجها قد سافرا إلى فرنسا يوم السبت الماضي، فكيف أمكن أن تتصل بي تليفونياً أمس الأول؟

- هل اتصلت بك شخصياً أم كلّفت شخصاً آخر بالاتصال بك؟

- شخصياً.

- هل تحقّقتِ من صوتها؟

- الواقع أن صلتي بها ليست وثيقة. وقد سمعتها تقول في بداية الحديث: باتريشيا تورانس تتكلم، فلم أشكّ في أنها هي.

فقال ديفيد بقلق: إن وراء كل هذا شيئاً لا أفهمه.

- نعم، هنالك شيء يثير الحيرة ويبعث على القلق.

- ولكن ما الهدف؟ ما معنى أن يتصل بك شخص ويزعم أنه باتريشيا ويدعوك للقدوم إلى هنا؟ وما معنى أن يتصل بي أحد الأشخاص ويبلغني رسالة يزعم أنها منك ويدعوني إلى مقابلتك هنا؟ ما معنى هذا؟

فقالت ساندرا: ألا يحتمل أن...

وصمتت ولم تتمّ عبارتها، فقال ديفيد وهو يتفرس في وجهها: ماذا؟ يبدو أن لديك تفسيراً لهذه الألغاز، تكلمي.

فقالت ببطء: ألا يحتمل أن يكون هو المدبّر لكل هذا؟

فصاح في دهشة: جون؟ زوجك؟

- لقد خُيّل إليّ أنه قد بدأ يرتاب في أمرنا.

فقال بحدة: ولكنك لم تخبريني.

- كنت أظن أنه مجرد وهم.

- جون؟ ولكن ما الصلة بينه وبين تورانس وزوجته؟ هل يمكن أن يكون قد أقنع باتريشيا بالاتصال بك ودعوتك للحضور إلى هنا؟

ففكرت ساندرا قليلاً ثم قالت: هذا مستحيل، إنه لا يكاد يعرفها.

فقال ديفيد وهو لا يزال يضرب أخماساً في أسداس: لعله تمكّن من استعارة هذه الشقة ثم أوعز إلى إحدى النساء أن تتصل بك وتزعم أنها باتريشيا.

فصاحت ساندرا: ولكن لماذا؟ لماذا؟

- ألا تفهمين لماذا؟ لكي يضبطنا في حالة تلبس.

- آه!

ومن يدري، فلعله قد أخفى بعض رجال الشرطة السريين في الحمّام لهذا الغرض.

وأسرع إلى الحمام وفتحه وأطل فيه، ثم عاد وقال: إنه حمام صغير وليس فيه أحد.

ثم أجال البصر حوله واستطرد قائلاً: الشقة كلها صغيرة ومكشوفة، وليس فيها مكان يصلح للاختباء.

- أليس من الوحشية والنذالة أن يقدم على أمر كهذا؟

فقال ديفيد ساخراً: لا تستنكري سلوكه أيتها الحبيبة، فإنه زوج ومن حقه أن يغضب ويثور إذا علم أن لِزوجته عشيقاً.

ثم جلس على الأريكة وقال: منذ متى بدأ زواجكما؟

- منذ عامين.

- وهل لا يزال يغار عليك؟

- ولم لا؟ أنت تعلم أنه يغار عليّ.

ثم أردفت بعد قليل: ولكنه ساذج إلى أبعد الحدود ويستطيع أي إنسان أن يخدعه، وقد كنت على يقين حتى الفترة الأخيرة من أنه لا يرتاب فيّ ولا يعرف شيئاً عنّا.

قال ديفيد: لابد أن صديقاً كريماً قد رآنا معاً فأنهى إليه النبأ السعيد، رغم أنني واثق من أننا كنا دائماً في منتهى الحذر.

فقالت ساندرا في مرارة: مهما يكن الحرص والحذر فهناك دائماً من يعلم.

- هذا صحيح، ولذلك أعتقد أن خير ما يمكن عمله الآن هو أن نغادر هذا البيت بسرعة على أن نلتقي غداً في المكان المألوف، ولكن بعد أن تتحققي من أن أحداً لا يتعقبك. والآن اجمعي حوائجك وهلُمّي بنا فإنني لا أريد أن يفاجئنا أحد هنا.

قال ذلك وتناول قبعته. وفي تلك اللحظة رنّ جرس الباب.

-٢-

جمد ديفيد في مكانه ونظر إلى ساندرا في هلع، ولكنها لم تكن أقل منه حيرة وهلعاً. قالت بصوت خافت: تُرى من القادم؟

- صه.

وأعاد قبعته إلى مكانها على المقعد وأردف قائلاً: إذا كان القادم هو جون ولم يسمع أية حركة أو صوت فإنه سينصرف.

ورنّ الجرس مرة أخرى فقالت ساندرا: إن الباب مفتوح.

- آه، ليتني أوصدته بالمزلاج! اجلسي وتظاهري بالهدوء وعدم الاكتراث، إليك لفافة تبغ.

وقدم لها لفافة وأشعلها. وفُتح الباب ودخل شاب في نحو الثامنة والعشرين من عمره يرتدي ثوباً على أحدث طراز ويضع في يديه قفازاً. كان وسيماً ولا يعيبه سوى ضيق عينيه والنظرة الثعلبية الخبيثة التي تتألّق فيهما، وما إن وقع عليه بصر ساندرا حتى هتفت قائلة: أليكس!

فقال الشاب بثبات: مرحباً ساندرا، مرحباً ديفيد.

ثم نظر حوله وأردف قائلاً: يبدو أننا قد جئنا إلى الحفل في وقت مبكّر.

فسُرّي عن ساندرا وتنفست الصعداء وقالت: إذن فهناك حفل؟ لقد كنا نتساءل عن ذلك منذ لحظة وخُيّل إلينا أننا أخطأنا المكان والزمان لأننا لم نر ما يشير إلى وجود حفل.

فقال أليكس وهو ينظر حوله: هذا صحيح؛ لا أرى طعاماً أو شراباً أو زهوراً! ألا يحتمل أن يكون مايكل وباتريشيا قد أقاما الحفل في مكان آخر؟

فقال ديفيد: الحق أنه أمر محيّر.

- هل جئتما منذ وقت طويل؟

فسارعت ساندرا إلى الإجابة: لقد جئت منذ خمس دقائق تقريباً، وجاء ديفيد بعد ذلك.

فقال أليكس وهو يضع قبعته على الأريكة: ألم تحضرا معاً؟

فأجاب ديفيد وساندرا في نفس الوقت: كلا.

وساد صمت قصير، ثم قالت ساندرا: هل اتصلت باتريشيا بك؟

- لا، الواقع أن مايكل هو الذي اتصل بي. إنه إنسان غريب الأطوار وغير واضح وصِلتي به ليست وثيقة، وكل ما قاله أنه طلب مني في أدب أنَ أحضر إلى هنا في منتصف السابعة مساء لتناول بعض الشراب، وها أنذا قد جئت.

فقال ديفيد وهو يصعد بعينيه ويتأمل ثيابه: إن من يراك يخيل إليه أنك مدعوٌّ إلى حفل رسمي في قصر الملكة.

- الحقيقة أنني كنت في حفل موسيقيّ، وقد تبادر إلى ذهني أنني سأجد الجميع هنا في ثياب السهرة.

- هل قال لك مايكل ذلك؟

- لا، لقد قال فقط إنها سهرة لتناول الشراب، وذلك أسلوب يستخدم في الدعوة لكل أنواع الحفلات، وأنا واثق من أنه كان يريد الاحتفال بمناسبة ما.

فقال ديفيد: أستطيع أن أخمّن ما حدث. لقد دعانا آل تورانس إلى حفل ولكنهم أقاموه في مكان آخر، وغاب عنهم أن يخبرونا بذلك المكان، أو لعلهم ظنّوا أننا نعرفه.

فقال أليكس: إنه لأمر بالغ الغرابة؛ أعني أنه غريب حقاً أن ينسونا نحن الثلاثة.

وقالت ساندرا: لقد ذكرت صديقة لي، هي جنيفر برايس، أن مايكل تورانس وزوجته قد سافرا إلى فرنسا، فلم أصدقها، ولكني أعتقد الآن أنها قالت الحقيقة.

فهتف أليكس: جنيفر برايس! هل كانت هنا؟

فقالت ساندرا: لقد جاءت لتطعم العصفور.

فمشى أليكس إلى القفص ونظر إلى العصفور، ثم إلى الصندوق الأسود الكبير الموضوع تحت النافذة. وعاد أدراجه وهو يقول: كل هذا يثير الفضول! دعونا نستعرض ما حدث لعلّنا نصل إلى الحقيقة. إذا كان آل تورانس قد سافرا إلى فرنسا فلا بد أن شخصاً آخر لا نعرفه هو الذي اتصل بنا وطلب منا الحضور. ولكن لماذا؟

ونظر إلى ديفيد واستطرد قائلاً: أليس الأمر مثيراً؟ إنه أشبه بالألغاز التي نقرؤها في الروايات البوليسية، ومن يدري فلعلهم تعمدوا أن يضعونا أمام لغز لكي نحاول أن نجد له حلاً، أو لعلهم تركوا الأمر لذكائنا وتركوا لنا من الآثار والأدلة ما يكفي لإرشادنا إلى المكان الآخر الذي

أقاموا فيه الحفل. نعم، لا بد أن يكون الأمر كذلك. ولكن ما أغرب التحف التي يقتنيها آل تورانس!

وتناول إناء القهوة من فوق رفّ خلف الأريكة وقال وهو يتأمله: أظن أنهم قد جاؤوا بهذا الإناء من بغداد.

- إن منظره قبيح ومخيف، وهذا النتوء الذي ينسكب منه السائل يذكّرني بمنقار صقر شرس.

- أحسنتِ الوصف يا ساندرا. نعم، إنه يشبه منقار صقر شرس، الإناء كله يفتقر إلى الجمال، بل الشقة كلها. انظري، إنها تكاد تخلو إلا من الضروريات، مجرد جدران ملساء... وأهمّ الضروريات، ما أبشع أن يجد الإنسان نفسه حبيساً في مكان كهذا!

فقال ديفيد: على العكس يا أليكس، إنها شقة عصرية جميلة وليس فيها ما يوحي بهذه الخيالات المزعجة.

- أنت إنسان مرح ولا تميل إلى التشاؤم يا ديفيد، انظر إلى هذا.

- أظن أن هذا ما يسمونه في الشرق «صندوق العروس».

- ثم هذا.

وتناول خنجراً مقوساً كان معلقاً على الجدار واستطرد قائلاً: هذا خنجر كردي فيما أعتقد، إنه أفضل سلاح لقتل

الزوجة الخائنة. ولكن مقبضه جميل، أليس كذلك يا ديفيد؟ خذه وتأمله جيداً. هل أنت خائف؟ إنه لن يعضّك.

فتناول ديفيد الخنجر ونظر إليه في شيء من الرهبة ثم رده إلى أليكس وهو يقول: إن المقبض جميل حقاً.

فقدم أليكس الخنجر إلى ساندرا وهو يقول: بل هو قطعة فنية، أليس كذلك يا ساندرا؟

فتناولت ساندرا الخنجر بدورها وقالت: بلى، إنه جميل. وأعادته إليه وهو يقترب من الشرفة.

- ما زلت أقول أن هذه الشقة موحشة وكئيبة.

وأطل من الشرفة واستطرد قائلاً: أي طابق هذا؟ أظنه الطابق الخامس. إنه مرتفع مثل ربوة من ربى كورنوول وصالح للانتحار تماماً... يا الهي! لقد سقط الخنجر من يدي، سقط في الشارع. من حسن الحظ أنه لم يسقط على أحد المارة، يجب أن أذهب لآتي به وإذا وجدت بواب العمارة فإنني...

فقاطعته ساندرا: لا أظن أن للعمارة بوّاباً.

- ولكن هناك مكتب بجوار الباب الرئيسي، سأستفسر هناك عن آل تورانس وهل رحلوا أم تركوا الشقة لمستأجر آخر.

واختطف قبعته وأسرع نحو الباب، فقال ديفيد: لعل

من الأفضل أن نرحل نحن أيضاً.

- لماذا؟ ابقيا هنا وأكملا شرابكما، ولن أغيب عنكما طويلاً.

وانصرف وأغلق الباب، فقال ديفيد وهو يكاد ينشق غيظاً: لا شك أن هذا الوغد سيعود مرة أخرى، إن له أقذر لسان في لندن.

فقالت ساندرا: هل تظنه دُهش حين وجدنا هنا معاً؟

- أعتقد ذلك، وأكبر الظن أنه سوف يطوف في أرجاء لندن ليقول للناس إن آل تورانس قد أعارونا شقتهم لكي نلتقي فيها خفية.

- إذن يحسن بنا أن ننصرف.

- لا، صبراً لحظة. إذا ذهبنا معاً سيظن الناس بنا الظنون. ولكن حدثيني، أليس أليكس أحد أصدقاء جون؟

فأجابت ساندرا: إن الصلة بينهما سطحية، والشخص الذي أحبه أليكس وأخلص له حقاً هو باري، زوجي الأول، وقد كان حزنه شديداً عندما مات باري.

- نعم.

وصمتت لحظة ثم قالت: إن الضجة التي أثارها أليكس حول موت باري كانت توحي إلى الناس بأنني أنا التي ألقيت به من فوق الربوة.

فقال ديفيد وهو يتفرس في وجهها: وهل فعلت ذلك حقاً؟

- ماذا تعني؟

فأجاب وهو يشيح بوجهه: لا شيء.

فقالت: أنا نفسي كدت أن أسقط معه.

ومرّت بجسدها رعدة واستطردت: كان الموقف رهيباً، وكانت الربوة كلها تتفتت وتنهار عقب الأمطار الغزيرة التي سقطت أثناء الليل.

فأطرق ديفيد رأسه مفكراً وقال: إذن أليكس لا يحبك كثيراً لهذا السبب.

- إنه يكره النساء بصفة عامة.

- ولكنه يكرهك بصفة خاصة، أليس كذلك؟

- ماذا تريد أن تقول؟

فأجاب وهو لا يزال مستغرقاً في التفكير: لقد خطر لي أن أليكس ربما كان هو المدبّر لكل هذا.

- ولكن لماذا؟

- ربما كانت خطته أن يجمع بيننا هنا ثم يتصل بجون لكي يفاجئنا معاً.

- إن هذا يبعث على السخرية! ولكن إذا كان أليكس

قد فعل ذلك فلماذا جاء بنفسه إلى هنا؟ إن مجيئه خليق بأن يفسد الخطة كلها.

- هذا صحيح.

ثم أردف وهو يتناول قبعته: على كل حال يحسن بنا أن ننصرف من هنا فوراً، لنلحق بأليكس.

فتناولت حقيبتها وشملتها وتبعته إلى الباب وهي تقول: كم كنت أود أن أعرف معنى كل هذا، بيد أنني لا أصدق أبداً أن...

ولم تتم عبارتها، فقد استدار ديفيد في تلك اللحظة وقال وأمارات الدهشة تعلو وجهه: أرأيت؟

- ماذا؟

- إن الباب مغلق بالمفتاح.

- لا أظن ذلك، هل عالجت المقبض؟

فأمسك ديفيد بالمقبض وحركه يميناً ويساراً، ثم هزّ الباب بعنف ولكن دون جدوى. قال: يبدو أن بعضهم قد أغلقه من الخارج.

فهتفت ساندرا في جزع: أتعني أن شخصاً تعمّد أن يحجزنا هنا؟

- هذا ما أعنيه.

- ولكن في استطاعتنا أن... من تظنه فعل ذلك؟

- أليكس.

- أليكس؟ ولماذا يعمد أليكس إلى حجزنا هنا؟ وعلى كلّ حال ليست مشكلة، في مقدورنا أن ندقّ الباب بشدة أو أن نصرخ.

وفتحت فمها وهمت بأن تصيح، ولكن ديفيد أسرع فوضع يده على فمها وقال وهو يقودها إلى أحد المقاعد: مهلاً، لا تفعلي ذلك. صبراً لحظة. اجلسي أولاً ودعينا نفكر في الأمر ملياً في هدوء. لا شك في أن ما حدث هنا يدعو إلى الدهشة والتساؤل. إن ما حدث هو أن أليكس (أو أي شخص آخر) دعاكِ إلى هنا باسم آل تورانس وأبلغني رسالة زعم أنها منك، ومهما يكن من أمر هذا الشخص فإنه قد نجح في استدراجنا إلى هنا ثم أغلق الشقة علينا.

- ولكن هذا عمل سخيف؛ فبوسعنا أن نستغيث.

- نعم، يمكنك أن تستغيثي، ولكن ماذا سيحدث؟ ستحدث فضيحة مدوية وسيقال إننا دخلنا شقة في غياب أصحابها لنجتمع خلسة!

- إذن فكلما عجلنا بكشف هذه الخدعة كان ذلك أفضل. دعنا نحدث ضجة عظيمة ونزعم بعد خروجنا أن الأمر كله كان مجرد مزحة خبيثة.

فقال ديفيد بجفاء: يجب أن تعلمي أنني لا أريد أية

فضيحة. إن فضيحة تثار حولي سوف تسيء إلى مركزي وتدمر مستقبلي، وإذا طلب جون الطلاق وأقحمني في الموضوع كانت في ذلك نهايتي.

فصاحت ساندرا في غضب: يا لك من حيوان أناني! إنك لا تفكر إلا في نفسك ولا تفكر فيّ وفي سمعتي.

- أية سمعة؟ لم تكن لكِ سمعة طيبة قطّ.

فردت ساندرا الإهانة بصفعة أهوت بها على خده، واحمرّ وجهه ولكنه كظم غيظه وقال: اجلسي ودعيني أفكر. نعم، إن شخصاً قد نصب لنا فخاً وقعنا فيه، وهذا الشخص هو أليكس غالباً. لقد كان يكرهني دائماً وكنت أشعر بذلك... افترضي أنه استطاع أن يقنع جون بأن...

كان يتكلم وهو يسير في الشقة، ووصل في سيره إلى حيث كان الصندوق الأسود فكف عن الكلام فجأة ووضع إصبعه على شيء في الأرض، ثم نظر إلى إصبعه وقال: ذرات خشب! من أين جاءت؟ آه، أرى ثقباً في جدار الصندوق، بل أربعة ثقوب. لقد ثُقبت حديثاً كأنما لكي يتنفس منها شخص داخل الصندوق.

- فوثبت ساندرا من مقعدها وهتفت: ماذا تعني؟

- هبي أن أليكس قد استغلّ الشكوك التي ساورت جون وأقنعه بالاختباء داخل الصندوق، ثم أعد لنا هذا الفخ.

- هل تعني أن جون موجود داخل الصندوق الآن وأنه قد سمع كل ما قلناه و...

- ذلك ممكن، ممكن جداً.

فنظرت ساندرا إلى الصندوق ثم إلى ديفيد، وتردد هذا قليلاً ثم مدّ يده إلى الصندوق وفتحه، ولكنه ما كاد ينظر بداخله حتى اصفرّ وجهه وجحظت عيناه وصاح: يا الهي!

فجمد الدم في عروق ساندرا وأسرعت إليه وهي تقول: ماذا حدث؟ ماذا في الصندوق؟

وحاولت أن تنظر إلى ما في الصندوق، فصاح بها: كلا، كلا! لا تنظري.

وارتمى على أقرب مقعد إليه، فقالت مرة أخرى: ماذا حدث؟

- تعالي واجلسي وتكلمي بصوت خافت. نحن أحوج ما نكون الآن إلى صفاء الذهن ورباطة الجأش.

- ولكن اخبرني، ماذا؟

- جون في الصندوق كما توقّعت، ولكنه جثة هامدة!

دُهشت ساندرا وامتقع وجهها وترنّحت في مكانها، ومرت بضع ثوان كأنها دهر قبل أن تفيق من الصدمة وتستردّ أنفاسها. وأخيراً هتفت: جون، جثة هامدة؟!

- إنه مقتول، فهل قتلتِه؟

- أنا؟ ماذا تعني؟!

- لقد سبقتِني إلى هنا ثم بعثت برسالة...

قاطعته: ولماذا أقتله في شقة غريبة وأرسل في طلبك؟

- لكي أكون بجانبك أيتها العزيزة. لقد ألمحت أكثر من مرة إلى رغبتك في الاقتران بي، ولما كانت إجراءات الطلاق طويلة ومعقدة وتتطلب نفقات طائلة، وكنت تعلمين مدة نفوري من أن أقحم نفسي قضية طلاق، فإنك...

- يا لك من غبي! أتظن أنني أجازف بارتكاب جريمة قتل قد تودي بنا معاً إلى المشنقة لمجرد رغبتي في الاقتران بك؟

- لا، ولكنك ربما ظننت أننا نستطيع الإفلات من العقبات، فالشقة ملك الآخرين وأصحابها في رحلة في الخارج، وكان تقديرك أن أحداً لن يرانا، فالعمارة بلا بواب وسكانها لا يعرفوننا، بل ولا يعرفون أننا هنا.

فقالت ساندرا في هدوء: في استطاعتي أن أوجه إليك نفس الاتهام؛ هب أنك سبقتني إلى هنا وقابلت جون وقتلته ووضعته في الصندوق وانصرفت، ثم وقفت تراقب العمارة حتى رأيتني أدخلها فلحقت بي.

- بالله عليك يا ساندرا، هلا كففت عن هذا السخف! إن عيبك أنك على جانب عظيم من الغباء.

فاستشاطت غضباً وصاحت: الآن تبدو على حقيقتك وترفع قناع الغش والخداع وتجاهر بما كنت تخفيه تحت ستار من الظرف والأدب الزائف، وما أنت في الحقيقة إلا نذل وجبان. يا لك من وغد قذر!

وكان من الممكن أن يسترسلا في التراشق بالاتهامات والشتائم لولا أن رنّ جرس التليفون فجأة، فصمتا ونظر كل منهما إلى الآخر في ذعر. قالت ساندرا بصوت مرتجف: من تظنه المتكلم؟

- لا أعلم.

- هل أتناول السماعة؟

- ليس من الحكمة أن تفعلي.

- ربما كان أليكس يتكلم من مكتب العمارة.

فمد يده ليتناول السماعة، ولكنها صاحت: كلا، كلا.

فجذب يده وقال: الحق أنني مرتبك ومشوش الذهن ولا أدري ماذا يجب أن أفعل.

وظل جامداً في مكانه لحظة، ثم نهض بغتة ليتناول السماعة ولكن التليفون كف عن الرنين، فجفف ديفيد

العرق المتصبب على جبينه وقالت ساندرا: ماذا سيظن بنا أليكس إذا كان هو المتكلم؟

- إذا كان هو المتكلم فسيصعد ليرى ماذا حدث، ولكني لا أعتقد أنه هو.

- من إذن؟

فصاح في ضيق: لا أعلم، لا أعلم. يجب أن أفكر، يجب أن نفكر بوضوح. إن بعضهم قد استدرجنا إلى هنا، وبعضهم استدرج جون، وبعضهم أغلق الباب علينا... إنه أليكس ولا أحد سواه.

وفتح الصندوق وأطل فيه، ثم أغلقه وسار إلى الشرفة، فقالت ساندرا وقد أخذت أعصابها في الانهيار: ماذا تفعل؟

- هل تذكرين الخنجر الكردي الذي سقط من يد أليكس؟ ألم يقل إنه سيذهب لالتقاطه؟

- نعم.

- إنه لم يلتقطه. ما زال الخنجر في مكانه حيث سقط.

- ماذا تعني؟

- ألم تفهمي؟ جون قُتل بهذا الخنجر، وقد بدأت صورة المكيدة تزداد وضوحاً.

فصاحت في حيرة وبأس: لا أفهم شيئاً... لا أفهم شيئاً. أنا في دوامة وأوشك أن أجن.

- يوجد شخص واحد وراء كل هذه الأحاجي والألغاز، وهذا الشخص هو أليكس. لقد أفهمَ جون أننا سنلتقي هنا وأقنعه بالاختباء في الصندوق لكي يرى ويسمع بنفسه، ثم طعنه وتركه في الصندوق وانصرف. ولا بد أنه كمن في مكان ما حتى رآنا ندخل العمارة فلحق بنا. ولعلك لاحظت أنه كان حريصاً على أن يلفت أنظارنا إلى الخنجر، وأرغمني أو كاد يرغمني على تناول الخنجر ثم جعلك تمسكين به وتتأملينه، كل ذلك بينما يداه في قفازه طول الوقت، فهل فهمت ماذا كان هدفه؟ كان هدفه أن نترك بصمات أصابعنا على الخنجر، وقد كان له ما أراد، وها نحن عاجزون تماماً عن عمل شيء ومحبوسان في شقة مغلقة مع جثة رجل مقتول نحن أصحاب المصلحة في قتله.

- كل هذا جنون!

- إن بصماتك وبصماتي على الخنجر، ولا توجد عليه أية بصمات أخرى. وليس هناك ما نستطيع عمله سوى أن ننتظر حتى يأتي رجال الشرطة.

فقالت وهي تنهض في ذعر: رجال الشرطة؟ ولكن لماذا يأتون؟

- ألا تدركين أن هذه هي الخطوة المنطقية التالية في خطة أليكس.

- لا بد أن به مساً من الجنون، لماذا يفعل بنا هذا؟

- أما قلتِ إنه كان يحب زوجك الأول ويخلص له؟

- ولكن ما علاقة ذلك بجون؟

فقال وهو يدنو منها: اصدقيني يا ساندرا. هل قذفتِ بزوجك الأول من فوق الربوة؟

- كلا طبعاً، قلت لك إنني أنا نفسي كدت أن أسقط معه.

فأمسك بكتفيها بقوة وأدارها لكي تواجهه وقال: أصغ إليّ يا ساندرا. أنا لا يهمني إذا كنتِ قد قذفت به أم لا، ولكننا في موقف يتعين علينا فيه أن نعرف الحقائق لكي نتبين نوايا أليكس وأهدافه. لقد كنت تحبين جون قبل أن يموت زوجك الأول، وكان جون شاباً ساذجاً مستقيماً ولكنه فقير، أما زوجك الأول فكان ثرياً واسع الثراء. ولم تكن فكرة الطلاق تلائمك لأنها تُفقدك ثروة زوجك، واتفق أنك وباري صعدتما فوق تلك الربوة، ثم حدث الانهيار بسبب الأمطار ووجدت أنت الفرصة سانحة فانتهزتِها، ودفعتِ زوجك فهوى إلى الأعماق، أليس ذلك ما حدث؟

وهزّ كتفيها بعنف وهو ينطق بالعبارة الأخيرة فأطرقت برأسها علامة الإيجاب. وعندئذ فقط ترك كتفيها وقال: لا شك أن أليكس قد علم بهذه الحقائق.

- وأنّى له أن يعلم؟

- إن أليكس يعرف الناس الذين يتعامل معهم. إنه لم يَرتَب في الأمر وإنما كان واثقاً منه، وكان لديه متسع من الوقت فانتظر حتى سئمتِ جون وبدأتِ مغامرتكِ معي، وحينئذ رأى فرصته؛ رأى الفرصة سانحةَ للاقتصاص منك ومن جون ومني. إنه ماكر كالثعلب، ما في ذلك شك، ولكن المسألة الآن هي: ماذا سنفعل؟

- يجب أن نغادر هذا المكان.

- طبعاً يجب أن نغادر هذا المكان، ولكن كيف؟

- نستغيث وندقّ الباب بقوة حتى يسمعنا أحد السكان.

- وماذا يفيدنا ذلك؟ سيفتح بعضهم الباب ويطلق سراحنا ولكنهم سيجدون جثة جون، ولن يصدقوا قصتنا. والأدهى من ذلك أنك قلت لتلك المرأة، جنيفر برايس، إنك تنتظرين قدوم زوجك.

- بوسعنا أن نقول إن أليكس جاء هنا، ونوضح كيف...

- أيتها البلهاء! إن أليكس سيُنكِر كل شيء، خاصة وأنه لم يترك بصماته في أي مكان. ولا شك أنه أعد عدته كذلك لإثبات وجوده في مكان آخر في الوقت الذي ارتكب فيه الجريمة.

- لا بد أن يكون أحد الناس قد رآه عند دخوله أو

عند انصرافه.

- في هذا الشارع المقفر؟ إنني أرتاب في ذلك.

ثم ضرب جبينه بيده وصاح: يا الهي! أما من مخرج من هذا المأزق؟

وانطلق إلى الشرفة وأطلّ منها، ثم عاد واليأس يتجلى على وجهه وقال: إنها شاهقة الارتفاع والوثوب منها معناه الانتحار.

- ألا يوجد سلم للنجاة من الحريق؟

فأجابت ساندرا: يوجد سلم، ولكن لا يمكن الوصول إليه إلا من باب صغير بجوار باب الشقة.

فصاح وهو يدق المائدة بقبضة يده: لابد أن هناك وسيلة.

فهتفت ساندرا فجأة: التليفون! بوسعنا أن نتصل بأحد الأصدقاء ونقول له.

فصاح ديفيد: يا الهي! كيف لم أتذكر التليفون؟ بمن نتصل وماذا نقول؟

وتهالك على الأريكة وجفف العرق المتصبّب على وجهه، ونظر كل منهما إلى الآخر. ورنّ جرس التليفون فاتجهت أنظارهما إليه، وقالت ساندرا بعد لحظة: أجِب، أرجوك أجِب، فإن الأمر لن يكون أسوأ مما نحن فيه.

- نعم، نعم، أظنك على حق.

فتناول السماعة وهتف: ألو.

وأصغى، وبعد قليل حجب السماعة بيده وهمس قائلاً: إنه أليكس.

ثم عاد إلى الإصغاء، وبعد لحظات وضع السماعة واستلقى على الأريكة بيأس، فصاحت ساندرا: ماذا قال؟

- قال إننا كالفئران في المصيدة وإن الشرطة ستصل إلينا بعد ثلاث أو ربع دقائق.

- الشرطة! كلا، كلا! لا بد أن هناك وسيلة ما.

وزاغ بصرها، فقال ديفيد: هناك وسيلة واحدة، هي الوثوب من الشرفة.

- تعني الانتحار؟ هل جننت؟ إنهم سيصدقوننا متى أوضحنا لهم أن...

- سوف يوجّهون إلينا تهمة القتل ويحكمون علينا.

- ولكني لم أقتل جون. أنت مخطئ، لماذا وقفت في طريقي؟ لماذا لم تدعني وشأني؟ ليتني لم أقابلك قط!

- أيتها الفاجرة! أنت التي أوقعتني في هذا المأزق.

- إنني أمقتك. هل سمعت؟ إنني أمقتك من كل قلبي أيها الانتهازي الوضيع، أيها الأناني القذر.

فثارت ثائرة ديفيد فدفعها بقوة فسقطت على الأريكة، وعندما همّ بأن ينشب أصابعه في عنقها دقّ الباب بعنف وصاح صوت في الخارج: الشرطة، افتحوا الباب.

– لقد انتهى كل شيء. لقد أفلتِّ من القصاص في المرة الأولى ولكنك لن تفلتي هذه المرة.

وتكرر الطرق وقال الصوت: افتحوا.

فرمقت ساندرا عشيقها بنظرة أودعتها كل ما يعتمل في نفسها من بُغض وكراهية وقالت: إنني أمقتك.

فقال بلهجة المغيظ: هل تعرفين ما هي عقوبة القتل؟ العقوبة هي الإعدام شنقاً أو السجن خمسة عشر عاماً على أحسن الظروف. تصوري! ساندرا الفاتنة في الأغلال طوال خمسة عشر عاماً.

وهنا تكرر الطرق وقال الصوت: سنحطم الباب.

فقال ديفيد: إنهم لا يريدونني بل يريدونك أنت، أنت التي قتلت باري لا أنا. ما شأنهم بي؟

وبدأت المطارق تدق الباب بعنف، فضحكت ساندرا ضحكة هستيرية وغمغمت قائلة: كالفئران في المصيدة. نعم، إننا كالفئران في المصيدة!

* * *

المحتويات

مغامرة في بالما ٥
اللؤلؤة المفقودة..... ٣٥
المرأة الغنية ٥٣
الزوج القلق ٧٣
زوجة في منتصف العمر ٩٣
الجريمة والعقاب..... ١١٣